

سلسلة دراسات تركستان الشرقية (١)

أتراك الأويغور

تأليف: أركين آلتكين

ترجمة:

د. محمد السيد محمد جادالحق
مدرس اللغة التركية بجامعة عين شمس

وقف التركستان الشرقية

سلسلة دراسات تركستان الشرقية (١)

تصدر تحت إشراف الأستاذ عبد الجليل طوران السكرتير العام لوقف تركستان الشرقية

أتراك الأويغور

تأليف: أركين آلبكين

ترجمة: د. محمد السيد محمد جادالحق

مدرس اللغة التركية بجامعة عين شمس

العنوان:

**Dedeefendi Cad No: 4 : Şehzadebaşı
34470 Fatih / Istanbul/ TÜRKİYE**

الهاتف:

0090 212 519 46 67

0090 212 519 07 86

الفاكس:

0090 212 519 0988

الناشر

وقف التركستان الشرقية

٢٠١٢ - يناير

فهرس المحتويات

٧	مقدمة المترجم
١١	مقدمة المؤلف
١٢	تسمية الأويغور - الوطن الأم للأويغور - التاريخ السياسي
١٣	ظهور تسمية قبيلة الأويغور على مسرح التاريخ
١٦	معنى تسمية الأويغور
١٧	الوطن الأم للأويغور
٢٣	التاريخ السياسي
٢٣	الأويغور حتى سنة ٧٤٤
٢٤	دولة الأويغور الأولى
٢٩	دولة أويغور لان - جو
٣١	دولة أويغور تركستان الشرقية
٣٢	الدولة القراخانية
٣٤	الإدارة المغولية
٣٥	الغزو المانجو - صيني
٣٧	الجمهورية في الصين وتركستان الشرقية
٣٩	الأدب الأويغوري
٤٠	١ - الأدب التركي الأويغوري قبل الإسلام
٤٩	٢ - الأدب التركي الأويغوري تحت التأثير الإسلامي
٥٧	الشعراء الأتراك الأويغوريون الكلاسيكيون
٨٧	ممثلو الأدب الذين ظهوروا تحت التأثير الغربي
٩٠	الجغرافيا البشرية لتركستان الشرقية
٩١	مساحة تركستان الشرقية
٩١	أشكال السطح

٩٤.....	المناخ
٩٥.....	تعداد أترك الأويغور
٩٨.....	اللغة والثقافة والفن لدى الأويغور
٩٩.....	لغة الأويغور
١٠٠.....	الكتابة الأويغورية
١٠٢.....	الدين لدى أترك الأويغور
١٠٤.....	الفن والعمارة
١١١.....	المسرح
١١٤.....	الصحافة والنشر
١١٦.....	التعليم
١١٨.....	أنواع الطعام الأويغورية
١٢٠.....	الطب لدى الأويغور
١٢١.....	الموسيقى والآلات الموسيقية
١٢٦.....	بنية المجتمع وطرز الحياة
١٢٨.....	الاقتصاد الأويغوري حتى سنة ١٩٤٩
١٢٩.....	الزراعة - تربية الحيوانات - الصناعة
١٣٥.....	عصر الصين الحمراء (الأحمر)
١٣٥.....	التكتيك الأحمر قبل عام ١٩٤٩
١٤٢.....	تأسيس مناطق شبه المستقلة (الحكم الذاتي)
١٤٩.....	السياسة الثقافية
١٥٢.....	الصحافة والنشر في تركستان الشرقية
١٥٤.....	الإصلاحات الاجتماعية الاقتصادية
	تربية الحيوانات - الصناعة - الانطباعات التي أظهرها شعب شرق تركستان
١٥٨.....	إزاء هذه الإصلاحات
١٧١.....	أترك الأويغور في الاتحاد السوفيتي

مقدمة المترجم

يحتل تاريخ الأتراك -على وجه العموم- أهمية كبيرة في التاريخ العالمي؛ فقد لفتت الأدوار التي قام بها الأتراك، والظواهر التي تبدت على مدار هذا التاريخ، لفتت أنظار الباحثين في مجال الدراسات التركية.

ولقد مر تاريخ الأتراك بمراحل ثلاث؛ مرحلة التاريخ القديم أى فترة ما قبل الإسلام، ثم مرحلة التاريخ الإسلامى الوسيط، التى اصطبغت بصبغة الإسلام، والعمل على نشره ورفع رايته عالية فى الآفاق فقد رفع الإسلام من قدر الشعوب التركية، ورفعوا هم راية الجهاد من أجل نشره. ثم تأتى فى النهاية مرحلة التاريخ الحديث لهذه الشعوب التى تعرضت فى هذه المرحلة لمجموعة من التحولات شملت كافة النواحي الحضارية والثقافية والفكرية والأدبية وكافة جوانب الحياة التركية.

وأترك الأويغور هم أحد الفروع الأساسية للشعوب التركية، إنه شعب عريق أبدع حضارة باهرة بطول تاريخه وشجاعته وذكائه ونشاطه، وأسهم إسهامات خالدة فى خزانة الحضارة الإنسانية. وأترك الأويغور إخوة من النسب مع الهون والترك من حيث النشأة، وينتمى إلى مجموعة لغات آلتاي من حيث اللغات التركية. ولفظ «الأويغور» إنما هو اسم

يدل على الوحدة السياسية للقبائل المتحدة تحت اسم الأويغور.

ولقد مر تاريخهم بالمراحل الثلاث سالفه الذكر، وحقيقة الأمر أن مبعث اهتمامي بدولة الأتراك الأويغور يرجع إلى نقاط ثلاث؛ أولها سابق تعرضي لموضوع أترك الأويغور أثناء مرحلة الإعداد لرسالة الدكتوراه، ولكن في فترة ما قبل الإسلام، وثانيها أن موضوع كتابنا هذا لا يتعامل فقط مع موضوع أترك الأويغور قبل الإسلام، بل هو يتعامل مع أترك الأويغور في مرحلة هامة عن ظروف دخولهم للإسلام وإسهامهم في الحضارة الإسلامية وأيضا يتعامل معهم في فترة التاريخ الحديث، وثالثها أن شعب الأويغور قُدِّر له أن يعاني من الاستعمار الصيني والروسي، والمناهضين للدين الإسلامي ولمظاهر الحضارة الإسلامية هناك في تركستان الشرقية والغربية.

وإذا كانت الدولة العثمانية قد حظيت باهتمام بالغ من قبل الباحثين في الدراسات التركية، واهتمت بها البحوث منذ عهد ما قبل الإسلام ثم امتد محيط الحضارة العثمانية الإسلامية حتى تركيا الحديثة. لذا نجد أن الأتراك الأويغور يفتقرون كثيرا إلى الاهتمام والبحث الجاد من قبل الباحثين المسلمين.

ومن الجدير بالذكر أن أركين آلتكين قد بذل جهدا طيبا في هذا المجال؛ فقد تناول تاريخ الأتراك الأويغور من نشأة الدولة قبل الإسلام ثم مرحلة التاريخ الإسلامي لهذه الدولة وانتهى بالحديث عنها

في العصر الحديث. ولقد تطرق أركين آلتكين إلى موضوعات شتى في هذا الكتاب منها التاريخي والأدبي والثقافي والاجتماعي مما يلقي الضوء بجدارة على مراحل تاريخ وحضارة وثقافة هذا الشعب المغبون، ومن ثم ... جديرا بنقله إلى اللغة العربية، لكي يتم النفع به إن شاء الله سواء من قبل الباحثين والمهتمين بالدراسات التركية والإسلامية منها على وجه الخصوص، أو من قبل غير المتخصصين والذين لهم صلة بهذا النوع من الدراسات من قريب أو من بعيد...

د. محمد السيد محمد جاد الحق

الرياض - ١٩٩٩م

مقدمة المؤلف

لأتراك الأويغور مكانة هامة في تاريخنا سواء من الناحية السياسية أو من زاوية التطور الثقافي. إن الأويغور الذين يعيش معظمهم اليوم في تركستان الشرقية، والذين ظل قسم منهم تحت الإدارة الروسية - يرزحون تحت نير الاستعمارين الصيني والروسي. كيف وصلت هذه القبيلة التركية العريقة التي يقدر تاريخها بألفى عام إلى هذا الوضع؟ وما هو موقفها الحالي؟ وكيف ينظرون إلى المستقبل؟ وما هو أمس ويوم وغد أتراك الأيغور، الذين أتحفوا الأدب التركي بأسماء خالدة مثل محمود الكشغري، ويوسف خالص حاجب، وإلام سيسير؟ إن هذا الكتاب يبحث في الرد على هذه التساؤلات.

أركين آلبتكين

١٩٧٩ م - استانبول

القسم الأول

تسمية الأويغور

الوطن الأم للأويغور

التاريخ السياسي

ظهور اسم قبيلة الأويغور على مسرح التاريخ

تذكر الغالبية العظمى من الأتراك الذين يعيشون في تركستان الشرقية التي تمثل مستعمرة صينية اليوم - باسم الأويغور. وخلاف ذلك، فهناك أتراك يعيشون تحت هذا المسمى في الاتحاد السوفيتي، وفي الهند وباكستان، وأفغانستان، والمملكة العربية السعودية، وتركيا.

يورد المؤرخون عدة آراء حول نشأة اسم الأويغور، فيذكر في المصادر الصينية أن الأويغور ينسلون عن هون آسيا، كما يمدنا مؤرخو أسرة «هان» الحاكمة (٢٠٦ ق.م - ٢٢٠م)، وأسرة «وي» (٢٢٠م - ٢٦٥م)، وأسرة «جين» (٢٦٥ - ٢٨٩م)، وأسرة «سوي» (٥٨١ - ٦١٨م)، وأسرة تانج بالصين (٦١٨ - ٩٠٦م) معلومات مختلفة عن أتراك الأويغور. وطبقا لهذا، فإن الأويغور الذين هم أبناء هون وسط آسيا يتخذون اسم «جاو جوي» في عهد أسرة «وي» الحاكمة (لدى بعض المؤرخين «جاود سو»، «كاوكو» «كاوچه»، وهو يأتي بمعنى ذوى العربات العالية، وقد ذكر في عهد أسرة «تانج» الحاكمة بتيه له (وطبقا لبعض المؤرخين جيلة - تله - تولس).

وكانت أقوام «يوانخو» تشكل القبيلة الأم للشعب الذي يسمى

«جاو جوى» و «تیه له» وكانت كلمة «هواى هو» قد ذكرت بـ «وى هو»، وفيما بعد بـ «هواى هو» حتى أصبحت «هواى هو» مرادفاً لأيفور، حتى أن الأستاذ ابراهيم قفص اوغلو أيضاً يؤيد العبارة السابقة ويذكر أن أسماء الأتراك الأويغور كانت قد ذكرت منذ زمن بعيد جداً في المصادر الصينية بأشكال مختلفة (هواى هو، وى هو، يوان هو، هوى هو، هو هو).

ويذكر على كمال مرام أيضاً أن القبيلة التركية المعروفة بـ «قاوچه» بالتعبير الصينى (٢٢٧ - ٢٦٤) والتي انضمت إلى الاتحاد الذى يكون امبراطورية الهون (HUN) أنها كانت أتراك الأويغور.

ويستخدم العالم اليونانى بطليموس في الخريطة التى اختطها، كلمة أويخارديس كاسم نهر ينتسب لأحد الأقوام فى شرق تيان شان الوسطى. وهى أيضاً تقرأ على أنها «أويغور».

ويبين محمود الكشفرى أن تسمية الأويغور قد عرفت اعتباراً من ٣٢٩ ق.م - ٣٢٧ ق.م، وأن كلمة اويغور كانت تنطق فى الأصل خودخور، ثم ظهرت من بعد ذلك الشكل «أودخور» طبقاً لقاعدة خو u-kh، ثم قبل فيما بعد «أويغور» طبقاً لقاعدة Y-DH.

وطبقاً للروايات الإيرانية المتعلقة بالأتراك القدماء يطلعنا أساده توسيده عن وجود قبيلة تركية تسمى «يوغور» أى «أويغور» فى منطقة تيان شان الوسطى. ويخبرنا أنه كان على رأسهم حاكم يسمى خاقان الأويغور.

ويبرز دى جروت قيمة نسبة أترك الأويغور إلى قبيلة هوقوت
(هوى هو) التى ظهرت فى الاتحاد الهونى العظيم فى سنة ١٧٧ ق.م.

وخلاف ذلك فمن الممكن مصادفة تسمية الأويغور فى نقوش
الكوك ترك وتصادف كلمة «أويغور» على النصب المشيد لتخليد ذكر
القاغان (قوبول) مؤسس دولة الأويغور بعد موته.

ومستور فى النقوش الكوك تركية أن أوغور خان قد جاء إلى بلدة
كُور عند عودته من حرب الهند، وأنه سار من هناك إلى بلاد البلغار.
وبُين أن الأويغور لم يشتركوا فى هذه الحرب، كما أنهم منعوا من ذلك،
وكلفوا بوظيفة حماية القطر فى سمرقند.

ومن الممكن استخلاص هذه النتيجة هنا، وهى أن أترك الأويغور
كانوا يعرفون اعتباراً من القرن الثالث قبل الميلاد. وأنهم قد عاشوا فى
أزمنة مختلفة وتحت أسماء مختلفة، وقد أعطيت أسماء مختلفة للأويغور
الذين كانوا السكان المحليين لهذه الأراضى بعد سيطرة تركستان الشرقية،
والصين القومية ١٩٤٤ - ١٩٤٩، والصين الشيوعية ١٩٤٩ - ؟، ولقد
كانت الأسماء مثل «جنتو» ذا العمامة، و«وى فو أر» (وصارت مرادفا
لأويغور) من بين هذه الأسماء.

ولقد فُضِّل ذكر الأترك الأويغور - الذين شكلوا الغالبية العظمى
من أترك تركستان الشرقية فى المجلس الذى انعقد فى طشقند عام ١٩٢١
فضل ذكرهم باسمهم القومى مرة أخرى.

معنى تسمية الأويغور

معنى لفظ الأويغور هو الوحدة والتعاون والاتفاق. إن كلمة أويغور موجودة في اللغة التركية القديمة وفي اللغة المغولية وفي لغة المانجحو. وأيضاً المصدر أويغور الموجود في اللغة التركية العثمانية هو من المادة الأصلية «أوي» التي تعد نفس الأصل مثل «أويغور» وصارت أويغور مرادفاً لكلمة مدني «متحضر» في اللغة التركية. وتعتبر كلمة أويغور المشتقة من كلمة خودخور في المؤلف (المسمى) «ديوان لغات الترك» أنها تأتي بمعنى «الذين لا يظلمون جوعى». وطبقاً لرأى بطليموس فإن كلمة «اويخارديس» أو «أويغور» تأتي بمعنى المستوطنين، وطبقاً لرأى الأستاذ الدكتور لازلو راسويني فإن كلمة أويغور تأتي بمعنى «المطيعون».

وإمدنا الدكتور رضا نور المهتم بمعنى تسمية الأويغور أيضاً تلك الإيضاحات، إن «أويغور» في التركية بمعنى الملتصق.

حتى أنهم يقولون (ثبت اللبن) في الجفتائية عندما يصنع اللبن والزبادى. وعندئذ يصبح (قاتيغ)، وقاتيغ عندنا هي قاتي أى صلب. وفي آسيا الوسطى يطلقون على الزبادى قاتيغ. وعندما يصبح زبادى تلتصق الكريات التي في اللبن ببعضها، وهكذا تعني "uyundu" التصلق. ويقال أيضاً تبعت الإمام أى يتم الجلوس إذا جلس الإمام، وينهض إذا نهض. و«غور» في الأسلوب الأويغورى القديم والحديث

أداة تكوّن الصفات من الأسماء ونفياً «مغرور» وهناك كلمات طويغور من طويمق بمعنى الأكل والشبع، وطويماغور بمعنى الرجل الذي لا يعرف الشبع، وبناء عليه فإن أويغور تعني المناسب، المؤنس، أليف، مطيع، أما أويماغور فتعني غير أليف ووحشى. والحقيقة انه بينما الأتراك الآخرون كانوا بدويين محاربين، كان الأويغور مستوطنين وهادئين.

الوطن الأم للأويغور

يحدد الدكتور رضا نور الوطن الأم للأتراك الأويغور على هذه الشاكلة: «من المؤكد أن أول قبيلة تركية انفصلت عن القبائل التركية في البرارى الواسعة لآسيا الوسطى وسيبيريا، وسارت جنوباً بهدف تأسيس وطن دائم هي هؤلاء الأويغور. كان الأويغور في الشرق إيالة قانصو بالصين وصحراء جوبي، والتبت وجبل كنلن، وفي الغرب سهل البامير، وفي الشمال منطقة جونغاريا، وكانت حدودها الجنوبية جبال الآلتاي.

وظل للأويغور ارتباطهم وعلاقاتهم مع الأتراك الآخرين على هذا الامتداد الأخير. أما مركز الأويغور فهو مناطق قومول وطرفان^(١) وقره شهر. وفيما بعد كانت كاشغر على وجه الخصوص وسمرقند وقارشى مناطق أويغورية. وفي هذه الحالة تكون أويغورستان هي تركستان الشرقية

(١) طرفان - تورفان - واحدة مدينة مزدهرة في تركستان الشرقية بالقرب من مدينة أوروغجي.

ويكتب المؤرخ السوفيتي الأويغوري كيروف ما يلي:

”يظهر العالم اليوناني بطليموس الأويغور على أنهم السكان المحليون لتركستان الشرقية في خريطته في القرن الحادي عشر قبل الميلاد. أما العالم اليوناني الآخر هيروودوت فيسجل أن اسم أحد الجبال جنوب تركستان الشرقية في أبحاث القرن الخامس قبل الميلاد كان يطلق عليه (آلتون داغ) أى الجبل الذهبي وأن أحد معابره كان يطلق عليه (موز طاغ آته)، وخلال ٢٥٠٠ عاما مضت جاء أصل هذه الكلمات بدون أى تغيير. ويستخدم الآن هذا الاسم الذى أطلقه الأتراك الأويغور على أنفسهم في ذلك العصر. وهذه الكلمات هي أصل اللغة الأويغورية.

وهكذا يقول العالم الروسي بوردنييف: إن التاريخ السياسى للأويغور وثيق الصلة جدا بتركستان الشرقية وتعرف دولة الأويغور اعتبارا من القرن الأول قبل الميلاد.

وكان يطلق على أوطانهم «جيلة». ونستطيع أن نستنتج أن الوطن الأصلي للأويغور كان هو المنطقة الواقعة حول جبال تيان شان. أما هذه المنطقة فهي تركستان الشرقية.

ويذكر كولين ماكراس في رسالته للدكتوراه بعنوان الإمبراطورية الأويغورية أن الأتراك الأويغور قد عاشوا في المناطق الممتدة حتى قانسو

وأورخون وسلانكه وبش باليق وطرفان وقومول. أما بش باليق (أوروجي)
وطورفان وقومول فهي في تركستان الشرقية»

ويروي الأستاذ الدكتور إبراهيم قفص أوغلو أن أقوام تولس (قاوق)
التي تعتبر أجداد الأويغور بالاتفاق مع الهون البيض قد استولوا على
مناطق قره شهر وكوجار وأقصو وكاشغر وأجوارها في آسيا الوسطى في
عام ٤٨٤ م.

ويذكر الأستاذ الدكتور أحمد جعفر أوغلو أن الوطن الأم للأويغور
كان «حامي» في المنطقة الواسعة الواقعة بين قومول وكاشغر.

ويوضح الأستاذ الدكتور لازلو راسويني أن أتراك الأويغور قد كانوا
يعيشون في المناطق الشرقية لحوض أورخون وباركول وقومول وتاريم^(١).

في هذه الحالة، وبناءً على ما يفهم من الأمثلة المعطاة فيما سبق،
فإن أتراك الأويغور، اعتباراً من تواريخ قديمة جداً كانوا يعيشون في المناطق
المجاورة لأنهار أورخون وسلانكه في الشمال، وفي قطاعات أوردوس
وقانصو في الشرق، وقومدريا وخوتن وكاشغر في الجنوب، وبحوار جبال
صايان في الغرب، وفي المنطقة الواقعة داخل جارسجان وإسيق كول
واوزكنت من جبال آلاطاغ وطاريغتاى، كانت لهم نشاطات سياسية
وثقافية في تلك الأماكن.

(١) تاريم = تاريم ويعني حوض نهر التاريم شمال تركستان الشرقية.

ويبدو أن المعلومات المستقاة حتى اليوم من الخرافات والأساطير اعتباراً من نشأة تاريخ الأتراك الأويغور حتى أظهروا وجودهم. ثبتت بالرواية الحقيقية المناطق التي عاشوا فيها.

إن ذهاب بوغاقاغان إلى الصين قد أحدث نتائج عظيمة من ناحية تاريخ الثقافة التركية. وأحضر بوغوقاغان- الذي تعرف على رهبان الصغد في الصين وعرف الديانة المانية- أحضر معه أربعة رهبان مانين عند عودته. وبعد مدة قصيرة طلب اعتناق الديانة المانية كديانة رسمية بدلاً من دينه. ولهذا عدة أسباب؛ أهمها كان قطع علاقة الأتراك بالصين من الناحية الدينية، لأن الصينيين كانوا يدينون بالبوذية. هكذا كان بوغوقاغان قد أراد اتخاذ الديانة المانية ديانة رسمية للأتراك من أجل هذا.

ومات خاقان الصين سوتسونج في عام ٧٦٢م، وأكلت الفتن برأسها مرة أخرى في الصين. ونصح رهبان المانية بوغوقاغان بفتح الصين، واقتنع بوغوقاغان بهذه الفكرة. وفي الوقت الذي بدأ فيه الاستعداد اللازمة قتله وزيره باغاتارقان ابن أخيه. مع أن باغاتارقان كان يؤمن بإمكانية فتح الصين، إلا أنه كان يعتقد أن إدارة هذا البلد الشاسع الضخم كانت من الصعوبة بمكان عظيم. وخلاف ذلك فإن الأتراك كان من الممكن أن يُستوعبوا بسهولة في هذه الدولة ذات العدد الضخم من الناس. ولهذا السبب فإن قوم هون وسط آسيا والكوك ترك الشرقيين قد استوعبوا في الصين. وطبقاً للمعلومات التي أمدنا بها المؤرخون فإن تعداد الصينيين

في دولة «وى» في سنة ١٤٠ م كان تسعة وعشرين مليوناً. وفيما يخص (فو) فيما بعد صار ١١ مليون، ودولة «صو» ٧,٥ مليون. ولم يكن هناك سوى استيعابهم في دولة مزدحمة كهذه.

وبعد قتل بوغوقاغان حل محله ابن أخيه باغاتارقان ٧٧٩-٧٨٩ م، وبعد موته صعد إلى العرش ابنه كولوج بيلكه ٧٨٩-٧٩٠ م، وفي النهاية ابنه قوتلوق بيلكه ٧٩٠-٧٩٥ م.

واتخذت أقوام التبت التي اهتمت بالصين منذ القدم مع أقوام الشاتو الموجودة في مناطق بشباليق (أوروبجي الحالية) في ذلك الوقت وبدأوا هجماتهم. وإذا كان الأويغور- الذين اتخذوا من حماية الصين تقليدا لهم لأسباب إقتصادية، وأرسلوا القوات- قد أرادوا صد الاعتداءات، إلا أن التوفيق لم يحالفهم، فقد كانت الفوضى قد عمت في دولة الأويغور. ولكن بدأ عصر الرفاهية في عهد الحاكم قوتلوق قاغان المحبوب ٧٩٥-٨٠٥ م، وفي خلفه كولوج بيلكه ٨٠٥-٨٠٨ م، فتطور النشاط الاقتصادي ودخل المدن التجارية الهامة في وسط آسيا، وبعد آلب بيلكه قاغان ٨٠٨-٨٢١ م الذي مرّ عهده في هدوء نسبي من ناحية السياسة الخارجية، فإن بولش كوجلوك بيلكه هو الخاقان الذي كتب نقش قره بلاساغون العاصمة. وكانت فترة حكمه فترة موفقة، وصدّ التبتيين الذين أرادوا أن يجتثوا على صدر الوطن التركي، وعين حاكما جديدا على رأس أقوام القارلوق المرتبطين بالخاقانية، وطوروا علاقاتهم التجارية في منطقة الصفد.

ولكن ظهرت الاضطرابات مرة أخرى في الوطن وقتل الخاقان
آلب بيلكه في عام ٨٣٢م، ومات آلب كولوج بيلكه قاغان أيضا في
عام ٨٣٢ - ٨٣٩م إثر تمرد قاده وزيره. وهجم القرغيز- الذين أحدثوا
الاضطرابات في منطقة ينسي منذ عام ٨٢٠م- بحشود ضخمة على
الأويغور وفتحوا قره بلاساغون وقتلوا الخاقان وأعملوا القتل في الأهالي،
وبالإضافة إلى كل ذلك قصم الشتاء الحاد في عام ٨٣٩م ظهر دولة
الأويغور، وهكذا اندحرت دولة الأويغور الأولى التي ظهرت على المسرح
السياسي بعد الهون والتابغاج والكوك ترك، والتي استمرت حكمها ٩٥
عاما.

وبدأ الأويغوريون في ترك هذه المنطقة في صورة مجموعات، وبعد
هذه الهجرة التي رأسها أخوان من عائلة الخاقان بدأت الصفحة الثانية
لتاريخ الأويغور.

وهاجرت قافلة أويغورية تقدر بثمانمائة ألف شخص إلى مناطق
قانسو التي كانت الوطن القديم للأويغور، وهاجرت القافلة الثانية
الأكثر كثافة إلى مناطق بشباليق (أوروبجي) وطورفان وكوجار وأقصو في
تركستان الشرقية، أما القافلة الثالثة الأقل عددا فقد هاجرت إلى مناطق
يدى صو، وكاشغر وباركند وخوتن.

وكان على رأس الأتراك الأويغور المهاجرين إلى مناطق قانسو فوهي
تكوين ٨٤١-٨٤٦م الذي اختير خاقانا خلال الهجرة. وكان أترك

الأويغور الذين استوطنوا في لانبجو مركز قانصو، وأجوارها كانوا مختلفين عن دولة أترك البرارى ولم يعتنقوا مبدأ توسيع نفوذهم في هذه المنطقة وعملوا على إقرار واستمرار علاقات الصداقة والتجارة مع جيرانهم وعلى رأسهم الحكومة الصينية، وذلك دون دخول في صراعات سياسية كبيرة وأسسوا دولة أويغور لانبجو.

التاريخ السياسى

الأويغور حتى سنة ٧٤٤

كان الأويغور يعيشون في أطوار النشأة في المناطق الواسعة اعتباراً من بلاد قانصو وشنغهاى وشانسى الكائنة في القطاعات الشمالية لنهر هوانج هو (النهر الصفرة) في الصين الحالية، وحتى القطاعات الشمالية لنهر تاريم. وقد انسحبوا إلى المنطقة الواقعة بين نهر اوردوس بمنغوليا وبين نهرى اورخون وسلانكة في القرن الثالث قبل الميلاد نتيجة لهجمات الصينيين المستمرة.

وكان أترك الهون قد كونوا في ٢٢٠ ق.م دولة قوية كان يتجنبها جيرانها في هذه المنطقة، وكان أترك الأويغور أيضاً قد شكلوا امبراطورية الهون وانضموا إلى هذا الاتحاد ولعبوا أدواراً هامة.

وبعد تمزق وانحلال امبراطورية الهون صار النفوذ في يد أتراك تابغاچ (١٨٦-٥٣٤) اقرب خلفاء أتراك الهون. وقد اشترك أتراك الأويغور أيضاً بسبع قبائل في هذا الاتحاد الذي شكل دولة تابغاچ.

وبعد التابغاچ تحول النفوذ في هذه المنطقة إلى الكوك ترك (الأستاذ الدكتور إبراهيم قفعى أوغلو، كتب العالم التركي، أنقرة ١٩٧٦، ص ٧١٠) - أما أتراك الأويغور الذين انضموا إلى هذا الاتحاد فقد استوطنوا في المنطقة الشمالية لنهر طوله (١٣٠).

وانقسمت امبراطورية الكوك الترك بتأثيرات داخلية وخارجية إلى قسمين، وبعد ضعفها بصورة تدريجية جذب أتراك الأويغور إلى صفوفهم أتراك القارلوق والباسمل والطقوز أوغور اعتباراً من سنة ٦٢٧م. وشكلوا جيشاً قوامه خمسون ألفاً وكونوا دولة الأويغور على أنقاض إمبراطورية الكوك ترك في سنة ٧٤٤م.

أول دولة أويغورية

كان بويلا قاغان (بيلو أى ملك القبائل التسع) مؤسساً لدولة الأويغور التي كانت عبارة عن تسع قبائل (ياغلاقار - أوطور قار - طور لو مقيار - باقاصيقير - أفوجاغ - قارصار - هوجورصو - يابوطقار - آباوير). وكانت العاصمة هي قره بلاساغون (أوردوباليق) على ساحل نهر أورخون.

مات بويلاقاغان في سنة ٧٤٧م، وحل محله ابنه مويانجور (٧٤٧-٧٥٩م) وقد اتسعت حدود دولة الأويغور في عهده، في الشمال حتى ينيس واورخون وسلانكا، وفي الغرب حتى جبال صايان، وفي الشرق حتى اوردوس وقانصو، وفي الجنوب حتى قوم دريا وخوتن وكاشغر.

وكانت أسرة تانج (٦١٨-٩٠٦) الحاكمة في الصين قد بدأت في التراجع في الوقت الذي بدأ فيه الأتراك الأويغور في الظهور على الساحة السياسية.

وكان الجيش الصيني قد انهزم أمام الجيوش العربية قرب نهر طالاس ٧٥١م. وحادثة أخرى هي أن قائداً يدعى آن لو شانج قد أعلن العصيان على خاقان الصين سوتشونج وفي معيته جيش يقدر عدده بمائتي ألف جندي واحتل مدينة لويانج في عام ٧٥٥م وجانجان في عام ٧٥٧م، وأعلن نفسه إمبراطوراً. وطلب خاقان الصين سوتشونج المساعدة من الخليفة أبو جعفر المنصور ومن خاقان الأويغور مويانجور، وأرسل الخليفة حينئذ إلى الصين وحدة صغيرة كانت في تركستان، وتحرك مويانجور أيضاً من قره بلاساغون بوحدات خيالية، واستعاد مدينة لويانج في عام ٧٥٧م. ووافق خاقان الصين سوتشونج على إعطاء أترك الأويغور ٢٠٠ ألف ثوب من الحرير سنوياً ومات مويانجور في عام ٧٥٩م، وحل محله ابنه بوغو قاغان ٧٥٩-٧٧٩م. وحول بوغوقاغان كل اهتمامه للصين التي استمرت فيها الاضطرابات، وأجبر الصينيين أن يتاجروا معه. وكان التجار الأويغور يتجولون كما يشاءون في الصين، يأخذون

الأموال، ويبيعون بالسعر الذى يطلبون فيه. وكانت خيول الأويغور - تستبدل بحرير الصين، وذهب بوغاقان إلى الصين فى عام ٧٦٢، وصار ضيفا على القصر الصينى.

إن ذهاب بوغوقاغان إلى الصين قد أحدث نتائج عظيمة من ناحية تاريخ الثقافة التركية. وأحضر بوغو قاغان - الذى تعرف على رهبان الصفد فى الصين وعرف الديانة المانية - أحضر معه أربعة رهبان مانين عند عودته وبعد مدة قصيرة طلب اعتناق الديانة المانية كديانة رسمية بدلا من دينه، ولهذا عدة أسباب، أهمها كان قطع علاقة الأتراك بالصين..... من الناحية الدينية، لأن الصينيين كانوا يدينون بالبوذية، وثانى سبب هام هو أن دين بوذا كان يضعف الروح القتالية للترك. وهكذا كان بوغوقاغان قد أراد اتخاذ الديانة المانية ديانة رسمية للأتراك من أجل هذا.

ومات خاقان الصين سوتشونج فى عام ٧٦٢م، وأطلت الفتن برأسها مرة أخرى فى الصين. ونصح رهبان المانية بوغوقاغان بفتح الصين. واقتنع بوغوقاغان بهذه الفكرة وفى الوقت الذى بدأت فيه الاستعدادات اللازمة قتله وزيره باغا طارقان ابن أخيه مع أن باغا طارقان كان يؤمن بإمكانية فتح الصين، إلا أنه كان يعتقد أن إدارة هذا البلد الشاسع الضخم كانت من الصعوبة بمكان عظيم وخلاف ذلك فإن الأتراك من الممكن أن يستوعبوا بسهولة فى هذه الدولة ذات القدر الضخم من الناس ولهذا السبب فإن هون وسط آسيا والكوك ترك الشرقيين قد استوعبوا فى الصين وطبقا للمعلومات التى أمدنا بها

المؤرخون فإن تعداد الصينيين في دولة «وي» في سنة ١٤٠ م كان تسعة وعشرين مليوناً وفيما يخص (فو) فيما بعد ١١,٧ مليون، دولة «صو» ٧,٥ مليون. ولم يكن هناك سوى استيعابهم في دولة مزدحمة كهذه.

وبعد قتل بوغاقان حل محله ابن أخيه باغاتارقان ٧٧٩ - ٧٨٩ م، وبعد موته صعد إلى العرش ابنه كولوج بيلكة ٧٨٩ - ٧٩٠، وفي النهاية ابنه قوتلوق بلكة (٧٩٠ - ٧٩٥).

واتحدت أقوام التبت التي اهتمت بالصين منذ القدم مع أقوام الشاتو الموجودة في مناطق (بش باليق) (الآن أوروبجي) في ذلك الوقت وبدأوا هجماتهم وإذا كان الأويغور - الذين اتخذوا من حماية الصين تقليداً لهم لأسباب اقتصادية وأرسلوا القوات - قد أرادوا صد الاعتداءات، إلا أن التوفيق لم يحالفهم، فقد كانت الفوضى قد عمت في دولة الأويغور ولكن بدأ عصر الرفاهية في عهد الحاكم قوتلوق قاغان المحبوب ٧٩٥ - ٨٠٥ م وفي خلفه كولوج بيلكة ٨٠٥ - ٨٠٨، فتطور النشاط الاقتصادي ودخل المدن التجارية الهامة في وسط آسيا، وبعد آلب بيلكة قاغان ٨٠٨ - ٨٢١ الذي مر عهده في هدوء نسبي من ناحية السياسة الخارجية فإن بولمش كوجلك بيلكة هو الخاقان الذي كتب نقش قره بلاساغون العاصمة، وكانت فترة حكمه فترة موفقة فصد التبتيين الذين أرادوا أن يجثوا على صدور الوطن التركي، وعين حاكماً جديداً على رأس أقوام القارلوق المرتبطين بالخاقانية، وطوروا علاقاتهم التجارية في منطقة الصفد والخابان ولكن ظهرت الاضطرابات مرة أخرى في الوطن، وقتل الخاقان آلب بلكة

في عام ٨٣٢م، ومات آلب كولوج بيلكة قاغان أيضاً في عام ٨٣٢م - ٨٣٩م، إثر تمرد قاده وزيره وهجم القيرغيز الذين أحدثوا الاضطرابات في منطقة ينيس منذ عام ٨٢٠ بحشود ضخمة على الأويغور وفتحوا قره بلاساغون وقتلوا الخاقان وأعملوا القتل في الأهالي وبالإضافة إلى كل ذلك قصم الشتاء الحاد في عام ٨٣٩ ظهر دولة الأويغور، وهكذا اندحرت دولة الأويغور الأولى. والتي ظهرت المسرح السياسي بعد الهون والتابغاج والكوك ترك، والتي استمر حكمها ٩٥ عاماً.

وبدأ الأويغور في ترك هذه المنطقة في صورة مجموعات، وبعد هذه الهجرة التي رأسها أخوان من عائلة الخاقان بدأت الصفحة الثانية لتاريخ الأويغور.

وهاجرت قافلة أويغورية تقدر بثمانمائة ألف شخص إلى مناطق قانصو التي كانت الوطن القديم للأويغور، وهاجرت القافلة الثانية الأكثر كثافة إلى مناطق بش باليق (أوروبجي) وطورفان وكوجار واقصو في تركستان الشرقية، أما القافلة الثالثة الأقل عدداً فقد هاجرت إلى مناطق يدى صو^(١)، وكاشغر وباركند وخوتن.

وكان على رأس الأتراك الأويغور المهاجرين إلى مناطق قانصو فوهي تكيي ٨٤١-٨٤٦ الذي اختير خاقانا خلال الهجرة وكان أترك الأويغور الذين استوطنوا في لانبجو مركز قانصو، وأجوارها كانوا مختلفين عن دولة

^(١) يدى صو: تعني الأنهار السبعة وهي المنطقة التي تضم بلاساغون وسوياب وتقع في تركستان الغربية وتضم الآن أجزاء من طاجكستان - قرغيزستان - أوزبكستان - قازاقستان.

أترك البرارى ولم يعتنقوا مبدأ توسيع نفوذهم فى هذه المنطقة وعملوا على إقرار واستمرار علاقات الصداقة والتجارة مع جيرانهم وعلى رأسهم الحكومة الصينية وذلك دون دخول فى صراعات سياسية كبيرة وأسسوا دولة أويغور لانبجو.

دولة أويغور لانبجو

قوى الأويغور الذى جاءوا إلى قانصو التى كانت وطنهم القديم، وأسسوا دولة أويغور لان جو - علاقاتهم المؤسسة على النشاطات التجارية أكثر مع الصين. وخلاف ذلك فإن أويغور قانصو قد قطعوا علاقاتهم مع منطقة عسكرية صينية موالية مركزها طونج هوانج (وهو مكان به ألف إمارة بوذية شهيرة، وذلك فى أوائل القرن العاشر الذى بدأت فيه التمردات ضد أسرة تانج الحاكمة). وأراد أحد القادة العسكريين، والذى أعلن تمرده على الصين فى عام ٩٠٥ أن يأخذ الأويغور تحت تبعية الدولة التى أطلق الهون الغربيون عليها تسمية.

مملكة آلتين داغ «الجبل الذهبى»، ولكن الجيش الذى أرسله أويغور قانصو حاصر طونج هوانج وأجبر الشعب على تسليم الملك لدرجة أنه طبقا لهذه الحادثة كسب الفرع الغربى للأويغور استقلالهم.

ولم يُهتم بأتراك الأويغور فى عهد خمسة أسر حاكمة حلت محل

أسرة تانج التي انهارت في عام ٩٠٦ وبداية من أسرة ليانج المتأخرة ٩٠٧ - ٩٢٣ م. وتبين علاقة سفير الأويغور - الذي ذهب إلى الصين مع سفير التبت في عام ٩١١ - ويمثل حاكم دولة الأويغور الكبرى أن نفوذ أترك الأويغور قد إزداد بعد إنتصار طونج هوانج وقوبل حاكم الشاتو التركي مؤسس أسرة تانج المتأخرة التي كانت ثانية الأسر الخمس ٩٢٣ - ٩٣٦ بالود من قبل الأويغور الذين كان على رأسهم حينئذ الخاقان (جن مى) (الشجاع والبطل). وتملك بعد جن مى في عام ٩٢٤ أخوه الأصغر تكين ٩٢٣ - ٩٢٦، ثم أخواه (أدروق - المختار) وحن يو. وأرسلوا إلى الصين في تواريخ مختلفة سفراء أسماؤهم آيا وكون وبارس.

وفي عهد حاكم الشاتو التركي ٩٣٧ - ٩٤٦ الذى أسس الأسرة الحاكمة الثالثة في الصين (مؤخر تسين - أوجين) أرسل جن مى (أخوه الأول) سفيراً إلى الصين يدعى آلتون، وليس معلوماً عام وفاة هذا الخاقان المذكور في أى من عهود الأسر الخمسة.

أما في عهد تانج المتأخرة ٩٤٧ - ٩٥٢ أو (جور) المتأخرة ٩٥١ - ٩٦٠ وعادت الوفود إلى الصين سواء من دولة أويغور لانبجو أو من أويغور الغرب وما يرجح أن هذه الزيارات قد تمت من أجل تطوير العلاقات التجارية.

وإذا كان أويغور قانصو لم يظهروا قدرة عسكرية كبيرة فإن الصين دائماً كانت تخشاهم، واعتباراً في بدايات القرن العاشر تجمعت قبائل

المانجو وكوريا وكونن القيطان - الذين ظهروا في صورة عنصر مختلف في الشمال واستولوا على بعض الأقسام من الصين في عهد الأسر الخمس خاصة - كَوّنوا أسرة حاكمة في النهاية (أسرة لياو الحاكمة ٩٠٧-١٢١١) وعندما أقاموا الحاكمية في شمال الصين، دخلت دولة الأويغور تحت نفوذ الطانغوت بعد عام ٩٤٠ وحتى ١٠٢٨ م، وفيما بعد في عام ١٢٢٦ وقعوا في قبضته جنكيز خان: وأويغور قانصو هم قبيلة تركية معروفة بـ الأويغور الصفر منذ ذلك الوقت ولا زالوا يعيشون في غرب الصين حتى الآن.

دولة أويغور تركستان الشرقية

كان نكوني تكيي أخو فوهي تكيي على رأس أتراك الأويغور الذين هاجروا إلى تركستان الشرقية وكانوا قد اختاروا منجلي قاغان حفيد خاقان الأويغور الذي قتله الغزاة من قره بلاساغون عام ٨٤٠ م، وأسسوا دولة الأويغور الثالثة داخل أراضي تركستان الشرقية في عام ٨٥٦. ولقد عرفت الصين توا - والتي كانت تبحث لنفسها عن حلف في هذه المنطقة التي أرادت أن تأخذها تحت نفوذها ضد هجوم التبتين - عرفت دولة الأويغور هذه.

فيما بعد اتحدت دولة الأويغور هذه والتي كان يحدها التبت من

الجنوب، ومنطقة القارلوق في الغرب، وكانت قد اكتفت بالدفاع عن بلدانها ومدنها الرئيسية بش باليق (أوروبجي) وطورفان وكوجار وأقصو وكاشغر وخوتن وتطورت في مجال الفن والأدب والتجارة (وكانوا قد كونوا أنفسهم باتحاد قارلوق الترك الذين قبلهم خاقان الأويغور - قبل الإسلام في كاشغر ٨٨٠م وكذلك باتحاد قبيلة تركية أخرى ذات أصل قارلوقي) - مع الدولة القراخانية واستمر حكمهما حتى اتحدتا مع نهاية القرن العاشر واتحد الأتراك الأويغور الذين هاجروا إلى مناطق (يدي صو) مع الأتراك الأويغور الذي جاءوا قبلهم إلى تلك الأماكن وانتقلوا إلى الحياة المستقرة، والذين وصلوا إلى المناطق الجنوبية من تركستان الشرقية خلال حربهم مع التبتيين (كاشغر وياركند وخوتن) وكونوا الدولة القراخانية في عام ٨٨٠م.

الدولة القراخانية

إن بوقاخان هو مؤسس الدولة القراخانية أصل كلمة بوقاخان هو قراخان. أما بوقاخان فهو من أتراك الأويغور - ويولي الدكتور رضا نور عنايته بهم فيقول: «شكلت أسرة حاكمة أطلق عليها زعماء الترك أو خاقانات الترك - وهم من الأويغور أيضاً - شكلت دولة مختلفة وكانوا يعتبرون أنفسهم من آل أفراسياب الذين كانوا أسرة حاكمة تركية قديمة. وابنه هو سوتوق بوغراخان الشهير، ومعروف أن أول حاكم أويغوري هو بوغراخان هذا الذي يتصادف مع القرن العاشر الميلادي. وخلاف

ذلك فإن a. Von gabain صاحب الكلمة في الموضوعات المتعلقة بتاريخ أتراك الأويغور يؤكد عبارة الدكتور رضا نور هذه ويذكر ما يلي: وقد رسمت صور بعض أشخاص لا يبدوون كرهبان يرتدون ملابسهم الملفتة للنظر على جدران المعابد البوذية والمانية في المنطقة الممتدة من طورفان حتى كوجار، وقد كتبت تحتها أسماء وألقاب هؤلاء الأشخاص، ومعظم الألقاب المستخدمة طارخان وبوغرا وقرا وتيمور (دمير)، ويطلعنا هذا الوضع على وجود الطائفة التي تعتبر نفسها من آل أفراسياب ضمن أتراك الأويغور - وطبقاً لما يفهم من هذه العبارات فإن ألقاباً مثل «قره» و«بوغرا» هي بعض الألقاب التي تصادف بغزارة بين أتراك الأويغور وهناك طبقة من الأرستقراطية الذين يحملون هذا اللقب بين أتراك الأويغور، ويذكر أوقطاي أصلاناي أن مؤسس الدولة القراخانية أطلقوا على أنفسهم خانات الأويغور قبل الإسلام، والذين أسسوا الدولة القراخانية هم من طبقة الأويغور الأرستقراطية هذه.

اتحدت دولة أرسلان خان في الشمال والدولة القراخانية في الجنوب حتى أواخر القرن العاشر، وأصبحتا دولة واحدة، وهكذا تأسست في تركستان الشرقية لأول مرة دولة تركية ذات علم واحد وتحت رئاسة حاكم واحد واكتسبت تركستان الشرقية حق حمل اسم تركستان الشرقية.

وهجم هارون بوغرا خان (من القراخانيين) على تركستان الغربية في ٩٩٣م وقضى على الدولة السامانية التي كانت تعيش دور الانقراض، ووسعت حدودها من سور الصين العظيم حتى التركستان الغربية، وإذا

كانت تركستان قد ظلت تحت إدارة الدولة القراخانية حتى عام ١٢٤٠م فإن الدولة القراخانية قد انقسمت نصفين مع إعلان بوري تكيي الوالى العام للتركستان الغربية الاستقلال. ونتيجة لهذا الإنقسام أجبرت الدولة القراخانية الغربية على أن تكون تابعة للدولة السلجوقية.

أما الدولة القراخانية الشرقية فقد تعرضت لهجوم أقوام القراخطاي الذين أسسوا دولة كبرى فى شمال الصين وكانوا تابعين للقراخانيين، وبعد أن قضوا على هذه الدولة هاجموا الغرب، وانتهت فى عام ١١٣٧م.

الإدارة المغولية

فى أواخر عام ١٢١٧م تحرك قائد مغولى يدعى جونغيان وأمر جنكيز خان أترك الأويغور بالانضمام إلى جانبه وسار ضد القراخطاي وفى معيته ٢٠٠ ألف مقاتل، وبعد هزيمة القراخطاي دخل أترك الأويغور تحت إدارة جنكيز خان. وحصل أترك الأويغور فى عهد جنكيز خان على مكانة مرموقة. وانتشروا داخل الإمبراطورية المغولية من المحيط العظيم حتى البحر الأسود، وحلوا محلهم، ودفعوا ضريبة الدم عندما تعرض جنود المغول للانكسار فى الحروب. وكان الأويغور هم الذين علموا المغول الحضارة.

وكانت اللغة الأويغورية هى لغة المغول الدبلوماسية، وتراسل كويوك خان (وفاته ١٢٤٨م) مع البابا بالأويغورية، وكان دبلوماسيو المغول من

الأتراك الأويغور أيضاً، وعين السفراء من الأويغور في روما، وولاية في الصين ومربين في بغداد، وعلماء في عائلة جنكيز؛ وفي القصر المغولي في تبريز و مهندسين في الجيوش المغولية، وعلى سبيل المثال في جيش قوبلاي ١٢٦٨م في جنوب الصين.

وقسمت الإمبراطورية المغولية قبل موت جنكيزخان بين أبنائه الأربعة وضمن هذا التقسيم أعطيت وسط تيان شان وتركستان الشرقية لابنه الثاني جغتاي خان، وحكم جغتاي خان وأبناؤه تركستان الشرقية والغربية بين عامي ١٢٢٨-١٣٦٩ من مركز واحد. وبعد أن أسس تيمور في هذا التاريخ الدولة التيمورية في تركستان الغربية ظلت تركستان الشرقية فقط في يد الجغتائيين، وحكمت هذه الدولة ثلاثمائة عام وعاشت حتى سنة ١٧٦٠.

الغزو المانجو- الصيني

في عام ١٧٦٠ تعرضت تركستان الشرقية للغزو المانجو^(١) - الصيني، وأعقبه الغزو المانجو صيني الثاني عام ١٨٧٦ وبعد هذا الغزو المانجو الصيني الثاني ألحقت تركستان الشرقية بالأراضي الصينية في ١٨ أكتوبر ١٨٨٤، وأطلق على تركستان الشرقية اسم شنجانغ أو سنكيانغ والتي

(١) يقصد بالمانجو المانشو وهي أسرة منشورية حكمت الصين في الفترة (١٦٤٤ - ١٩١١) ونسب أيضاً أسرة تشينغ.

ترد بمعنى المستعمرة الجديدة، وهكذا يكون قد بدأ أدمى عصر في تاريخ أتراك الأويغور..

وقد قام أتراك الأويغور بأكثر من أربعمئة ثورة أو عصيان ضد الإدارة المانجو صينية وذلك بكثافة أو بقدر ضئيل بهدف القدرة على العيش في حرية واستقلال مرة أخرى في هذا العصر مثلما كانوا يفعلون في تركستان الشرقية منذ الأزل (من أجل حركات العصيان والمقاومة أنظر: إبراهيم يوسف آلبيتكين قضية تركستان الشرقية، استانبول ١٩٧٣) ويذكر المؤرخون هذا العصر أى عصر الغزو الأول والثاني كواحد من أدمى عصور تركستان الشرقية. وعلى سبيل المثال يذكر بيتر فليمنج في كتابة المسمى أخبار عن TarTary أنه أكثر من مليون شخص من السكان المحليين بتركستان الشرقية من أتراك الأويغور في هذا العصر قد قتل.

وعلاوة على ذلك فقد عجز أكثر من خمسمئة ألف من أتراك الأويغور عن أخذ الثأر من الغزاة المانجو صيني واضطروا إلى اللجوء إلى أراضي الاتحاد السوفيتي الحالي، وألقى في السجن ما يقرب من ٢٠٠ ألف من أتراك الأويغور الذين ثاروا ضد الإدارة المانجو الصينية، وتم نفيهم إلى وادي إيلي (غولجا). ووظف أتراك الأويغور المجلوبون إلى هنا في أعمال الزراعة والرى وحفر القنوات من أجل تأمين إعاشة الجنود المانجو الصينية المبعوثين الذين يزيدون عن ٣٠٠ ألف جندي من أجل السيطرة على آسيا الوسطى. وهذا هو سبب إطلاق القالموق اسم (تارنجي) التي ترد بمعنى المزارع، على أتراك الأويغور هؤلاء المعروفين بأنهم متفردون جدا

في أعمال الزراعة، والغالبية العظمى من أتراك الأويغور - المنفيين إلى وادي إيلي هم من المدن الجنوبية من تركستان الشرقية مثل كاشغر وأوج طورفان وأرتوش وأقسو وكوجار.

يقوم أتراك الأويغور هؤلاء بأعمال الطعام والشراب والنقل للجنود المانجو الصينيين الذي يأتون من مسافة ١٨٠٠ إلى ٢٠٠٠ كيلو متر، وإذا كانت قد تكونت دولة استمرت ١٤ سنة تحت إدارة يعقوب بك في تركستان الشرقية خلال الغزو المانجو الصيني الثاني فإنها لم تستطع أن تتحمل الهجمات المتواصلة للغزاة واندحرت.

الجمهورية في الصين وتركستان الشرقية

استمر الغزو المانجو - الصيني الثاني حتى عام ١٩١١، وفي هذه الأثناء أقيمت الأسرة الحاكمة للمانجو في الصين وأعلنت الجمهورية. وبدأ بعض الولاة العموميون الذين استفادوا من القلاقل الموجودة بالصين، بدأوا يديرون تركستان الشرقية على أنها مرتبطة بالصين في الظاهر ولكن بصورة مستقلة فعلياً. ولقد حكم تركستان الشرقية من ١٩١١ حتى ١٩٤٤ على التوالي ولاة طغاة صينيون ظالمون أمثال يانغ - زنج - شين ١٩١١ - ١٩٢٨، جينج - شو - رين ١٩٢٨ - ١٩٣٣، شينج - شى - شاي ١٩٣٣ - ١٩٤٣، جونج شين ١٩٤٣ - ١٩٤٤. ولقد

ثار على ظلمهم أترك الأويغور الذين لم يستطيعوا أن يتحملوا إجراءاتهم
المجحفة غير القانونية، ثاروا مرتين بالاشتراك مع قبائل تركية أخرى في
تركستان الشرقية ضد حكم جينج - شو - رين أو جونج شين وإذا
كانوا قد أسسوا جمهورية تركستان الشرقية المستقلة مرتين إحداها في
١٢ أكتوبر ١٩٣٣ والثانية في ٧ أكتوبر ١٩٤٤ فقد قضى على هذه
الحكومات القومية في زمن قصير نتيجة للتحالف السوفيتي الصيني.

وبعد أن انتهت جمهورية تركستان الشرقية المستقلة الثانية نتيجة
للتحالف السوفيتي الصيني فقد تأسست حكومة مختلطة تحت رئاسة الجنرال
جانغ - جى - جونج في ١٥ يونية ١٩٤٦. ولكن كان كل واحد من
أفراد شعب تركستان الشرقية يريد أن يتأسس أحد الأترك حكومة تركستان
الشرقية ويقومون في كل فرصة بالهجوم على الصينيين وعلى منازلهم،
واضطرت الحكومة الصينية القومية - التي اعتقدت بأن الاتحاد السوفيتي
سوف يتمكن من الاستفادة من هذا الموقف لمصلحته - اضطرت في
١٩/٥/١٩٤٧ لأن تقبل الدكتور مسعود صبرى بايقوزى بك رئيساً للحكومة
ولاية تركستان الشرقية، وقد استمرت حكومة الدكتور مسعود بايقوزى حتى
١٧/٨/١٩٤٨. واعتباراً من هذا التاريخ فقد نفذت الحكومة الصينية القومية
نصيحة الجنرال جانغ - جى - جونج وعينت برهان شهيدى بدلاً من
الدكتور مسعود صبرى بايقوزى بك. وبعد سنة من تعيين برهان شهيدى والياً
عاماً للتركستان الشرقية بدأت الوحدات الصينية الحمراء التي هزمت جيش
شيانج كاي شين في الصين في الاستيلاء على تركستان الشرقية.

القسم الثاني

الأدب الأويغوري

يمكننا أن ندرس الأدب الأويغوري بتقسيمه إلى ثلاثة عصور كبيرة:

١- أدب ما قبل الإسلام

٢- الأدب تحت التأثير الإسلامي

٣- الأدب الذي ظهر تحت التأثير الغربي.

لقد أثر على أدب ما قبل الإسلام ما مر به الأويغور من مراحل تاريخية ودينية وثقافية متعددة وهو ما ظهر في نقوش الكوك تورك، والآثار البوذية والأويغورية والمانية والمسيحية التي خلفها الأتراك.

وتأثر الأدب في العهد الإسلامي بالأدب الأويغوري والقراخاني والأدب الجغتائي والقازاني وعلى وجه الخصوص الأدب العثماني.

وأثر على الأدب الذي ظهر تحت التأثير الغربي الأدب العثماني

الذى اتخذ وجهة جديدة بدءاً من القرن التاسع عشر والأدب القازاني
وأدب القفقاس.

الأدب التركى الأويغورى قبل الإسلام

أظهرت الحفريات عدة آثار تخص الأدب التركى الأويغورى نتيجة
للأبحاث التى تمت فى أورخون وسلاونكا وينبيسى وطورفان وقوجو وكوجار
وخوتن وفى بعض الأماكن الأخرى قرب بداية القرن الحالى. والقسم
الأكبر مما أمكن دراسته من هذه الآثار التى تتعامل مع الموضوعات
الدينية كالبودية والمانية هو أدعية ونصائح دينية. وقد درست نصوص
أدبية خلاف هذا وذلك مثل « قصة جاشتاني بك و » قصة الأخوين
« و » الكتاب الذهبى.

وإذا كانت الملاحم القيمة التى تخص هذا العصر قد ضاعت إلا
أنه قد تبقت بعض الملخصات فى المصادر الصينية والإيرانية وهى ملاحم
« الأصل » و « الهجرة ».

● (أسطورة الأصل) الاشتقاق:

لم يستطع أحد الحكام الأتراك القدامى أن يظلم بناته اللاتى كن
جماليات بدرجة لم تشاهد فى جنس الإنسان - بتزويجهم من البشر،
وفكر قائلاً «إنهم يليقون بالآلهة فقط»، وأسكن بناته فى قلعة عالية من
أجل إبعادهم عن كل البشر، وتضرع للآلهة حتى تتزوجهن.

وجاء إله السماء كوك طانرى متخذاً شكل ذئب أغبر وتزوج من البنات وأنتج النسل الذى ظهر منهم قبائل الأويغور التسع والأويغور العشر (الطقوز أوغوز وأون أويغور).

● (أسطورة الهجرة) :

تزايد الطقوز أوغور (الأوغوز التسعة - تسمية أخرى للأويغور) وزادت قوتهم وأسسوا الدولة الأويغورية، وعاشوا سعداء ببركة نهرى طوغلا وسلانكا، وزادت يوم سقط نور أزرق من السماء على شجرة كانت بين هذين النهرين وقد نشر هذا النور ضياءه شهوراً طويلة فى كل العالم وانتشرت نغمات جميلة فى كل جانب وفى النهاية انشق جذع الشجرة وظهرت خمسة أقسام فى الفرجة التى ظهرت، وكان ينام فى كل منها طفل جميل.

وكان هؤلاء هم الأطفال المقدسين الذين أنزلوا من السماء وأعطى الأويغور لكل منهم اسماً واتخذوا من بوغوخان الذى كان أصغرهم خاقاناً عليهم.

وكان عصر بوغوخان عصر رفاهية وسعة للأويغوريين، ثم مرت سنون طويلة. وذات يوم رغب خاقان الشاب من نسلهم أن يصادق الصينيين. وقرر أن يتزوج من أميرة صينية حتى يوقف الحروب التى كانت مستمرة بينهم.

وقابل الصينيون هذا الطلب بسعادة وهكذا امتلكوا فرصة لتغيير الأحداث الجديدة التي ستأتى بالمصائب على الوطن التركى. وكان هناك موضع صخرى لا ينبت فيه العشب يسمى الجبل المبارك (قوطلوق طاغ) فى موطن الأويغور، وطلبوا هذا الجبل مهراً للأميرة، وارتضى الخاقان الشاب ذلك. وبالطبع كان ذلك المكان جبلاً مقدساً وكان يمد الوطن الأويغورى بالبركة والسعادة، وكان ذلك الجبل رمزاً للوطن.

وحمل الصينيون الصخور صخرة صخرة، وبعدها لم يضحك وجه الأويغور - قط. وضاعت البركة وولت الأدبار وانحسرت الأنهار وصارت الأرض لا تنبت. وحينئذ بدأ كل الناس والحيوانات يصرخون قائلين الهجرة الهجرة. واهتزت الأرض والسماء بهذا الصوت، وكانت هذه لغة الآلهة. وكانوا يطردون الأويغور من أوطانهم التى لم يعرفوا قدرها وتجمعوا حينئذ جميعاً وهاجروا. ولم يتركهم صوت كلمة الهجرة هذه أينما استوطنوا، ومضوا إلى أقصى الغرب.

وفى النهاية وصلوا إلى الموضع الذى به مدينة (بش باليق) واستوطنوا فيه، وتزايدوا من جديد وشملهم النظام وأصبحوا أمة ذات وطنى وذات خاقان.

● (قصة جاشتانى بك) :

إن أحد النصوص الأسطورية الناقصة التى تجذب الانتباه من بين النصوص الأويغورية البوذية والمانية هو قصة جاشتانى بك. إن جاشتانى بك هو خاقان، ونظراً لأنه كان خاقاناً فكان يجب عليه فى البداية أن

يواجه الفساد والمصائب التي أراد الجن إدخالها إلى وطن الترك، وأن يحمي شعبه وأن يكون مالكا للدولة.

وقد ذهب جاشتاني بك إلى مفترق الطرق وتحارب مع كثرة كثرة من الجن، وهم الجن الذين يأكلون لحوم البشر الذين يلقون أمعاء الشخص الذين شربوا دمه، على جسمه وهم يتركون شعورهم الحمراء المجدولة على أكتافهم ويلقون بأشياء عجيبة، ويأتون بأجسامهم الثعبانية كالجبل. ويدخل جاشتاني في وسطهم دون أي تردد بالعون الذي أرسله ربه من أجل حماية قومه ويصرخ في الجان الذين أخذوا يحيطون به.

أيها الجان أخبروني! بأي حق تقتلون الناس في بلدي؟ ممن أخذتم القدرة على دخول هذه المدينة؟ انظروا إلى سيفي الحاد هذا سأقطع به أجسادكم وأمزقها إربا ثم أتركها. ولن يضاف هذا لكم من البلاد إلى وطني.

غضب الجان عندما سمعوا هذه الكلمات الشديدة اللهجة والعدوانية للحاكم جاشتاني، وعمهم الاضطراب، وتسلبت الخوف عليهم. وغنوا بعض الأغاني، ممسكين بأيدي بعضهم البعض، وأمسك بعضهم البعض من المرفق وأسدلوا شعورهم الحمراء بلون النار على ظهورهم، وفي أيديهم الدروع والمخانيق وراياتهم التي تشبه اللهب. وبدأوا يضربون جاشتاني بك بالحرايب وتحدثوا مع بعضهم على هذه الشاكلة.

«ماذا تنتظرون بعد ذلك؟ اضربوه بالحرايب وقطعوه، ومزقوا جسمه

إربا وأرسلوه إلى العالم الآخر»

وبناءً على ذلك هجم جاشتاني بك بقوة الشديدة، وأمسك الجن
المسمى أورو مكي من شعره الذي كان مسدلاً على كتفيه ورفع به إلى أعلى
واستل سيفه وفصل رأسه عن جسده.

وعندما رأت تلك الشياطين والجان قوة الحاكم جاشتاني ومنعته
وأبعته وسعاداته وبهاءه ملأهم الخوف كلية.

الأشعار الأويغورية القديمة

قام علماء التركيات الغربيون بنشر قسم من الأشعار الأويغورية
القديمة التي ظهرت خلال الحفريات التي أجريت. وأظهر رشيد رحمتي
آرات (١٩٠٠ - ١٩٦٩) مؤرخ الأدب التركي، إلى الوجود سبعة
وعشرين قطعة شعرية تخص الأويغور في كتابه المسمى «الشعر التركي
القديم» (والمكتوب منها تحت التأثير الإسلامي ٦ قطع شعرية داخلاً في
ذلك أيضاً كتاب الخط) وأظهر أيضاً الشروح والإيضاحات والنصوص
المتعلقة إلى تركية الأناضول الحالية. والأشعار الأويغورية التي تتخذ مكانها
في هذا المؤلف، هي أشعار مكتوبة بالخط الأويغوري، وعشرون قطعة
منها تحت التأثير البوذي، وسبعة تحت التأثير الماني، وستة تحت التأثير
الإسلامي، وقد تأكد أن هذه الأشعار قد تمت كتابتها بين القرنين
الثامن والثالث عشر.

ومعظم هذه الأشعار أو المنظومات التي تحمل أسماء مثل قوشوغ وقوشمه وطافشوت وطاقماق وير وكوج هي تضرعات دينية ومدائح وصور للموت ولجهنم ونصائح وتضرعات، ولكن من بين هذه النصوص -ربما بصورة تامة في بعض النصوص- توجد أشعار للطبيعة الشيقة، وأشعار غنائية للحب، وأغاني الشباب (الفتوة) وحكمة...

ولرشيد رحمتي آرات فضيلة هامة في كتابه المسمى «الشعر التركي القديم» ألا وهي التعرف على أول شاعر تركي أويغوري له مؤلف معروف حتى اليوم وهو يسمى آرينجور تكيي، وقد وجد له قطعتين شعريتين، وقام بتعريفهما لعالم الأدب، ومما يستلفت النظر أن هذا الشاعر قد تربى تحت التأثير الماني في الفترة الأولى للأويغور، وواحدة من أشعاره هي مدحية في أسلوب تضرع مكتوب من أجل ماني. أما القطعة الثانية المدونة أسفل فهي من أشعار الحب -ذات طبيعة دينوية وأدبية تماماً- وتختلف عن المنظومات الدينية من ناحيتي الشكل والمضمون. وقد قبل هذا النص على أنه أول نموذج لأشعار الحب الغنائية في اللغة التركية.

النص:

الحبيبة التي ليس لها نظير

روحي المحبوبة

قد فكرت في خطبتك، وأعاني من الشوق

وكلما عانيت من الشوق... يا جميلتي القاسية

إنني أريد أن أصلك

إني أفكر في حبيبتي الفريدة
كلما فكرت، وفكرت وتوقفت
أريد أن أقبل محبوبتي.
وإذا قلت أسير.. يا حبيبتي الجميلة
لا أتمكن من السير
يا رحيمتي
ليتني أدخل يا صغيرتي
ولكني لا أستطيع الدخول أيضاً
يا من لك رائحة العنبر والمسك
فلتأمر الآلهة المضيئة
لا نستطيع فراقاً أكثر من ذلك (مع من توحدنا معه) بعد أن توحدنا
مع ذات الطبع الرقيق
ولتمدنا الملائكة الأشداء بالقوة
ولنجلس في بهجة مع سوداء العيون.
وخلاف ذلك فإن رشيد رحمتي آرات هكذا يذكر أقدم الشعراء
الأويفوريين في هذا المجال سواء المعروف باسمه وسواء المعروف باسم
المؤلف فقط وذلك منذ البداية كما سنرى فيما يلي:

١- آرينجو تكيئي (يعرف بقطعتين شعريتين)

٢- كول طارقان (يعرف باسمه فقط)

٣- صيفكو شلى طوطونج قام بترجمة رحلة هيوان تشانج الرحالة الصينى المشهور الذى درس اتساع الدول التركية واتساع طقوسها، ترجمها إلى اللغة الأويغورية فى النصف الأول من القرن العاشر. وهذا المؤلف مخبأ فى المكتبة القومية بباريس.

٤- كيكى، ولهذا الشاعر الذى تربى داخل البيئة البوذية قطعتان شعريتان، وشعره التركى القلم موجود فى صفحة ١٨٦ و ١٩٥.

٥ - براتيايان، وله قطعتان شعريتان موجودتان فى صفحتى ١٥٠، ١٥٦ من نفس الكتاب

٦ - أصيغ طوطونج، يرد اسمه فى رابعة.

٧- جيصويا طوطونج، له قطعة شعرية سندرسها آنفاً.

٨- كاليم كيشى، ولهذا الشاعر الذى يعتقد أنه تربى داخل البيئة البوذية قطعة رقيقة من الشعر فى صفحة ١٦٤ من نفس الكتاب.

٩- جوجو، لا يوجد لهذا الشاعر الذى ورد ذكره فى ديوان لغات الترك أى شعر. ولكن يظن أن قسماً من النماذج المنظومة التى ساقها الكاشغرى تخص هذا الشاعر.

نموذج من القطعة الشعرية المسماة "زيت الثرة" ل جيصويا طوطونج:

إنه يتيح للمريدين معلومات متعددة وأول شيء فيها أن تكون
متلونة.

وينثر بذور بعض الطرق السوداء السيئة.

والإنسان العاقل ينتبه كل وقت قبل أن يخطئ أكثر من ذلك.

وهو هكذا يفتح أعظم أبواب النروانا^(١).

والأشعار التالية تتحدث عن تركي أويغوري تغرب عن وطنه،
ويسأل عن حال الماكثين في الوطن الأم، وهل هم سيكون من أجله أم
لا سيكون (واسم المؤلف غير معروف).

النص :

إن السحب البيضاء ترعد في كبد السماء

هل كلها ستمطر ثلجاً

وأمي العجوز ذات الشعر الأبيض

هل ستذرف دموعها متألمة.

إن السحب السوداء ترعد في كبد السماء

هل ستمطر ثلجاً أم مطراً

وأمي العجوز الهرمة

هل ستذرف دموعها بسبب السوق.

(١) النروانا: حالة نفسية ومعنوية لدى المتدين الهنود.

هل سحب الربيع ستمطر مطرها مانحة الحياة، وترعد في كبد
السماء

هل الزوجات صغيرات السن
سيذرفن دموعهن.

هل سحب الربيع ترعد في كبد السماء
وهل ستمطر مطراً كثيراً
وهل ستذرف صنو قلبي دموعها

(Bang R.R. Arat, Lieder aus Ait Turfan. AM. IX. 131 den)

الأدب التركي الأويغوري تحت التأثير الإسلامي

حقق الأتراك الأويغوريون تقدماً عظيماً في مجال الأدب في العصر
الإسلامي مثلما كان في عصر ما قبل الإسلام. وفيما بين القرنين
الحادي عشر والتاسع عشر وفي إطار البيئة الإسلامية أخرج الأتراك
الأويغوريون أسماء عظيمة تزيد عن خمس وسبعين، منهم المؤرخ والأديب
والقانوني واللغوي وعالم الفلك والكيميائي والطبيب والجغرافي والرياضي
والشاعر مثل يوسف خاص حاجب ومحمود الكاشغري وأحمد يوكنكي
وأحمد سيد الكاشغري ومحمد يوسف بن محتشم الكاشغري وموللا
محمد صادق الكاشغري ومحمد صادق الياركندي ومحمد صادق ينكي

حصارى وجلال الدين كاتب الباركندى وموللا محمد تيمور الكاشغرى
وسدى الكاشغرى وعبدالله السرمى وموللا موسى الأقصى وموللا
موسى السايرامى وبلال ناظم وعبد الرحيم نزارى ومحمد بابا خوجه
الخوتنى ومحمد بن سدير زين الدين الكاشغرى. ومحمل المؤلفات التى
كتبها هؤلاء تزايد عن ١٣٠، وجزء كبير من هذه المؤلفات مخبأ حتى الآن
فى مكتبة لينتجراد القومية. وإذا كنا سنذكر المؤلفات التى ترجمها العلماء
الأترك الأويغوريون من العربية والفارسية إلى اللغة الأويغورية فإن الرقم
الذى ذكرناه سالفاً سيزيد عن ٢٥٠.

ومن بين الأسماء التى عددناها فإن المؤلفات المشهورة عالمياً وهى
«قوتادغوبيليك» ليوسف خاص حاجب و«ديوان لغات الترك» لمحمود
الكاشغرى فقط، فهى معروفة جيداً فى الساحات العلمية. وقد درسها
العلماء وقاموا بترجمتها إلى لغة اليوم، ولكن مؤلفات المؤرخين والأدباء
والشعراء وغيرهم من الأويغوريين الأترك الذين ذكرنا أسماءهم آنفاً لم تتم
دراستها بالمفهوم الكامل. ونحن نريد أن نعطى نبذات ومعلومات مختصرة
عن مؤلفات مجموعة من هؤلاء الأدباء والشعراء بالرجوع إلى الوثائق.

● يوسف خاص حاجب: (١٠١٩-١٠٨٥)

ولد يوسف خاص حاجب فى مدينة بلاساغون (كوز أورد) التى هى
واحدة من عواصم الدولة القراخانية، وتظن الدوائر العلمية أن يوسف كان
مهتماً بالقراءة والكتابة وصاحب معلومات موسوعية قيمة فى سن صغيرة

جداً. وقد أجاد لغات كثيرة بخلاف لغته الأم واللغة العربية والفارسية ولغات وسط إيران التي كانت تتحدث في ذلك الوقت في وطنه، وكذلك أجاد فن الكتابة. وغير ذلك فقد قرأ يوسف خاص حاجب مؤلفات الفارابي وابن سينا من مشاهير علماء العصر. وبعد أن أصبح ذا علم غزير كتب يوسف خاص حاجب كتاب قوتادغوبيليك «علم السعادة» الذي اعتبر أول المؤلفات المتميزة لأتراك الأويغور. وقد كتب هذا المؤلف المخطوط بالخط الأويغوري من أجل الحاكم القراخاني طامغاج بوغراخان (أبو علي حسن قراخان) بين عامي ١٠٦٩-١٠٧٠. ويظن أنه عندما أتم يوسف خاص حاجب هذا المؤلف كان يبلغ من العمر خمسين عاماً. وقد أكمل يوسف خاص حاجب مؤلفه المسمى «قوتادغوبيليك» في مدينة كاشغر وقد أعجب الخاقان كثيراً بهذا المؤلف، وقد سمى يوسف البلاساغوني «خاص حاجب» أي من رجال القصر، وطبقاً لرأى بعض الكتاب فقد سماه «أولوغ خاص حاجب» أي كبير الحجاب.

وفي الدوائر العلمية تعرف ثلاثة نسخ للمؤلف المسمى «قوتادغو بيليك» ليوسف خاص حاجب، وقد اكتشفت نسخته الأولى في استانبول في العشرينات من القرن التاسع عشر، واكتشفت النسخة الثانية في القاهرة في سنة ١٨٩٧ واكتشفت النسخة الثالثة في ولاية نامانغان بأوزبكستان في سنة ١٩١٤. وقد قام بدراسة هذا المؤلف ليوسف خاص حاجب علماء مشاهير مثل جوزيف فريهر، وفون هامر بورجستال، وآرني فامبري وويلهام رادلوف وويلهام طومسن وسيرجي مالوف والأستاذ زكي وليدى

طوغان، وم. دل آجار، وقاموا بترجمتها إلى لغتنا الحديثة.

وتدل كتابة المؤلف المسمى «قوتادغوبيليك» باللغة التركية قبل أن يكتب باللغة العربية التي كانت منتشرة جداً في ذلك العصر وعرفت بأنها لغة أدبية، وقبل أن يكتب باللغة الفارسية، تدل على قوة إحساس يوسف خاص حاجب بالقومية على أنه كان متحيزاً للتجديد. ويفسر المؤرخون هذا الوضع على أنه كان مطلب ذلك العصر أما اللغويون فيفسرونه على أنه إعادة إحياء اللغة الأم.

● محمود الكاشغري: (١٠١٩-١١٣٤)

ولد محمود الكاشغري في كاشغر عاصمة الدولة القراخانية. ومن المعروف أنه في كتابة المسمى «ديوان لغات الترك» وطبقاً للمعلومات التي أفردتها عن نفسه فإن محمود الكاشغري قد كتب ذلك المؤلف في بغداد في سن متأخر عام ١٠٧٢، وأنه كان قد قدم ذلك المؤلف للخليفة أبو القاسم عبد الله (المقتدى بأمر الله).

والمؤلف المسمى «ديوان لغات الترك» لمحمود الكاشغري هو دائرة معارف نظمت طبقاً للترتيب الأبجدي اللهجات التركية المتعددة المكتوبة والمتحدث بها في زمانه، وقد زين بالنصوص النثرية المنظومة والنماذج وبعض الوقائع، و«ديوان لغات الترك» هو قاموس يعطى المقابل العربي لسبعة آلاف وخمسمائة كلمة تركية في نفس الوقت، وقد وضع الكلمات طبقاً للترتيب الأبجدي، ونظمت الجمل من أجل أن تفهم معانيها جيداً

وقد سجل بكثرة أشياء مثل الحكمة والسجع والمثل والشعر المتعلق بكل كلمة. وقد أخرج هذا الوضع مؤلفه من صفة قاموس بسيط، ورفعته إلى درجة دائرة المعارف الثمينة، وبهذه الصورة حفظ تراث اللغة التركية والثقافة التركية القديمة.

إن محمود الكاشغرى الذى تحول خطوة بخطوة بين القبائل التركية فى ذلك العهد قد أمدنا بمعلومات وفيرة عن التاريخ التركى وأساطيره وعن الجغرافيا والأدب الشعبى معنى الفولكلور. وقد أرسى أسس علم التركيات، وأوضح القواعد الهامة للغة فى الكتاب. وقد زود بالتغيرات الصوتية وحالات الاسم وبالنماذج الغنية خاصة بنائيات الفعل. ومحمود الكاشغرى عالم لغوى متمكن فى نفس الوقت، وهو يقسم اللهجات التركية الأدبية لذلك العهد إلى اللهجة الشرقية (الخاقانية) واللهجة الغربية (الأوغوزية)، ولم يفقد هذا التصنيف قيمته حتى اليوم.

وقد قام بترجمة طبعة ديوان لغات الترك الموجودة فى أيدينا اليوم بسيم أطلاي (١٩٣٩ - ١٩٤١). وقد صدر ضمن نشرات مجمع اللغة التركية، وهى عبارة عن خمسة مجلدات ثلاثة منها أساسية، وواحدة طبعة أصلية وواحدة أيضاً عبارة عن فهرس.

● الأديب أحمد يوكنكى: (١١٨٠-١١١٠)

الأديب أحمد بن محمد يوكنكى هو أديب تركى أويغورى آخر معروف فى الدوائر العلمية. وإذا قيل أن أحمد يوكنكى قد ولد فى مدينة

يوكنك، فإنه يمكن التأكد حتى الآن من مكان مدينة يوكنك هذه^(١). وكتابه المعروف في الدوائر العلمية هو الكتاب المسمى "هبة الحقائق" أو "عتبة الحقائق"، ومما يظن أن هذا المؤلف كان قد كتب في أوائل القرن الثاني عشر. وقد قام بتقلم «عتبة الحقائق» إلى عالم العلم نجيب عاصم سنة ١٩١٨، وقد تولى النشر العلمي الأستاذ رشيد رحمتي آرات عام ١٩٥١م، وقام بترجمته إلى التركية الأناضولية.

وإذا قارنا النسخ الموجودة للمؤلف، فإن «عتبة الحقائق» طبقاً لرأى الأستاذ رشيد رحمتي آرات الذي نشره بشكل علمي هو كتاب منظوم في الأخلاق وفي اللغة التركية (مثل قوتادغوبيليك) وقد صنف من أجل تربية الأفراد داخل إطار ثقافة البيئة التركية الإسلامية. وقد خضع القسم الذي كتب في صورة مدخل للكتاب ويتعلق بالله عز وجل وبالرسول صلى الله عليه وسلم وبوفاة الصحابة الأربعة، وخضع للقافية في شكل جميل وعلى طراز القصيدة. أما القسم الذي يشرح الموضوع الرئيسي فقد كتب بالرباعيات (a-a-x-a) في شكل ذي قافية وعلى شاكلة الماني mani. وأحمد يوكنكي هو كاتب منظومات تعليمية تمدنا بمعلومات أخلاقية ووعظية أكثر من مجرد شاعر خيالي ذي إحساس رقيق، وقد أكد على الأعراف التركية والمبادئ الإسلامية، وقد ساق المبادئ الأساسية القائمة على العلم والكرم والفضيلة.

(١) "يوكنك" منطقة تابعة للقراخانيين الغربيين.

”رباعيات من عتبة الحقائق“

عن الكتاب :

إسمى الأديب أحمد، كلامي هو الأدب والنصيحة، وتمضي روحي،
ويبقى هنا كلامي، ويمضي الربيع ويأتي الربيع ويمضي هذا العمر، وينقضي
عمر الربيع.

عن العلم:

يعرف الأشخاص بالعلم، والجاهل يعتبر مفقوداً بينما هو حي،
وإذا مات العالم فإن اسمه لا يموت، وعندما يكون الجاهل سليماً معافى،
فإن اسمه ميت.

عن الكرم:

إن الصالح من هذا الشعب هو الشخص الكريم، إن الكرم يزيد
الشرف والرتبة والجمال، وإذا أردت أن تكون محبوباً بين الناس كن كريماً،
فالكرم يجعلك محبوباً.

● عبد الفاضل محمد بن عمر:

ليس من الممكن أن نعرف على وجه القطع تاريخ ميلاد ووفاة
هذا الكاتب الكاشغري وهو مؤلف الكتاب المسمى «القاموس
المصنف» Essurah, Minelshah، وقد أُلّف الكتاب في كاشغر في

سنة ١٢٨٢ م باللهجة التركية الأويغورية. وهذا المؤلف الذى يقدر عدد صفحاته بمائتين وأربعة وستين صفحة مخبأ حتى الآن فى معهد العلوم الشرقية فى الاتحاد السوفيتى.

● ميرزا محمود جوراسى:

هذا المؤلف الياركندى هو مؤلف الكتاب المسمى تاريخ خانات المدن الستة، وقد كُتب هذا المؤلف طبقاً لرغبة اسماعيل بك حاكم ياركند بين عامى ١٦٧٠ - ١٦٨٢ م، ويروى المؤلف فى أثره هذا الأحداث والوقائع فى تركستان الشرقية فى القرون ١٥ حتى السابع عشر، وجوراسى هو مؤلف الكتاب المسمى «تاريخ رشيدى» فى نفس الوقت. ومن المقبول أن يكون الكتاب السابق بقية للكتاب المسمى «تاريخ رشيدى»، وقد كُتب هذا المؤلف أيضاً باللهجة التركية الأويغورية.

● مولانا هاشم الياركندى :

هو مؤلف كتاب «كشف الأسرار» وموضوعه علم الفلك، ويمدنا المؤلف فى هذا الكتاب المكتوب باللهجة التركية الأويغورية وعدد صفحاته ٢٦٠ صفحة بمعلومات عن النجوم المتعددة ويقوم بحساب السنة والشهر واليوم.

● مولانا محمد آواز صدر الدين قره قاشى:

هذا الكاتب-الذى هو من قضاء قره قاش بمدينة خوتن- مؤلف

كتاب مجمعة الأحكام (ملتقى طرق تعلم النجوم)، وقد كُتب المؤلف في قره قاش في القرن الخامس عشر إلى السابع عشر.

وخلاف هؤلاء يجب أن نذكر أن جلال الدين محمد طبيب كان له كتابان يسميان الرسالة القشيرية ومقياس الأصالة (عن تقويم الوقت) وأن باباء الدين أحرارى كان له كتاب يسمى الرقم نجوم (حساب النجوم) وذلك في مدن كاشغر وياركند وخوتن بتركستان الشرقية فيما بين القرنين الخامس عشر والسابع عشر.

الشعراء الأتراك الأويغور الكلاسيكيون

● خرقتي:

عاش خرقتي - وهو من الشعراء الذين لهم رصيد لا ينتهى في ارتقاء الأدب التركى الأويغورى الكلاسيكى - في كاشغر بين عامى ١٦٣٤، ١٧٢٤. وفي سنة ١٦٧٠ ألف كتابين عنوانهما «محبته» و«مهنتكام» وقد عمل الشاعر في مؤلفه هذا على إظهار أهمية الحب والعمل وأهمية العلاقة الشديدة بين هذين العنصرين وطبقاً لرأيه فإنه يجب أن يكون العمل دائماً صديقاً للإنسان، لأن الإنسان يستطيع فقط أن يصل إلى الحب عن طريق العمل والحب الطاهر يجعل الإنسان ذا صفة راقية ويجعله ذا أخلاق.

● زليلی:

يرجع إبداع زليلی الشاعر التركي الأويغوري المتألق بالقرن الثامن عشر من حيث أضافت أشعاره الغنائية التي كتبها بمهارة رصيذاً في إثراء الأدب التركي الأويغوري الكلاسيكي، وليس معروفاً متى وأين ولد زليلی، ويظن أنه ولد في مدينة ياركنند، ويجب أن يكون تاريخ ميلاده ١٦٧٤، ويفهم من أشعاره أنه كان يعرف العربية والفارسية جيداً، وتغلب على مؤلفات زليلی تعبيرات تحت على العدل والحقيقة إلى جانب تعبيرات الحب والغم والكدر والشوق. وهناك احتمال كبير أن يكون زليلی قد عاش حياة رحالة. ويفهم من المعلومات التي أمدنا بها في مؤلفاته أنه تجول من شمال تركستان الشرقية إلى جنوبها ومن غربها إلى شرقها. وقد عاش زليلی في مدن رئيسية للتركستان الشرقية مثل كاشغر وأقصو وكوجار وطورفان وقومول وخوتن، ودرس وضع شعبها في موقعه وقد جعل موضوع الغنائية أساساً في إبداع زليلی. ويتحدث زليلی عن الحب الطاهر النابع من القلب في كل مؤلفاته تقريباً، ولهذا فإن عدم الوفاء والمراعاة أشياء غريبة.

● نوبتي:

دخل نوبتي الذي كان معاصراً لزيللي تاريخ الأدب التركي الأويغوري الكلاسيكي كواحد من الشعراء الغنائيين ذوي المكانة المرموقة. ولد نوبتي في مدينة خوتن بتركستان الشرقية. ودرست مؤلفاته في مدارس كاشغر

جنباً إلى جنب مع مؤلفات على شير نوائى. ويمثل تعبير «الحب» الموضوع الأساسى فى مؤلفات نوبتى، وينصح فى مؤلفاته ألا يقضى الناس أوقاتهم الثمينة هباءً، وأن يتركوا ذكرى حسنة فى مدة بقائهم فى الحياة.

إن القرن التاسع عشر هو واحد من أكثر عهود تركستان الشرقية ابتلاءً، وقد قام مسلموا تركستان الشرقية الأتراك الذين لم يستطيعوا أن يتحملوا مزيداً من ظلم صيني المانجو قاموا بالثورة عدة مرات بهدف أن يتمكنوا من العيش أحراراً مستقلين: فعلى سبيل المثال قام شعب تركستان الشرقية بين عامى ١٨٢٥، ١٨٢٦ تحت رئاسة جهانكير خوجه بالثورة ضد الغزاة المانجو صينيين. ولكنهم لم يستطيعوا أن يتحملوا كثراً أمام المانجو صينيين الذين كانوا متفوقين عليهم فى العدد والجنود والسلاح، وانهمزموا وأحضر جهانكير خوجه إلى بكين وقتل.

وإذا كان الأويغور الأتراك قد هزموا، إلا أنهم قد داوموا على ثوراتهم القومية. ولقد كانت إجراءات المانجو صينيين المصحفة والظلمة هذه فى تركستان الشرقية واحدة من الموضوعات الرئيسية للأدب التركى الأويغورى وكلاسيكياته فى ذلك العصر. ولقد اشترك معظم أصحاب هذا النوع من المؤلفات بالفعل فى هذه الثورات القومية أو أنهم كانت لديهم القدرة على المتابعة عن قرب.

ويمكن أن نعتبر المؤلفات المسماة «تاريخ أمنية» للشاعر الكلاسيكى موسى سيرامى، و«تاريخ يعقوب بك» لخوجه يوسف «كتاب غزاة

در ملك جينى» على رأس المؤلفات التى تصور وضع أترك الأويغور فى القرن التاسع عشر، وقد صور كتاب هذه المؤلفات الأحداث التى وقعت فى كل أنحاء تركستان الشرقية وقد أكملت نفس الأحداث فى هذه المؤلفات بعضها دون تكرار، وإذا كان الكتاب قد ساقوا أفكاراً مختلفة، فإنهم جميعاً يتفقون فى أمر واحد بشأن الوضع الحقيقى للشعب.

● عبد الرحيم نزارى :

يظهر شعراء أترك أويغوريون مثل الشاعر آخون عرشى وخصلة الكاشغرى على الساحة الأدبية فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر.

أما فى النصف الأول من القرن التاسع عشر فيظهر شعراء أترك أويغوريون مشهورون مثل عبد الرحيم نزارى وطوردى غريبى وضياى وصبورى ولا شك فى أن عبد الرحيم نزارى يحتل مكانة هامة فى الأدب التركى الأويغورى الكلاسيكى فيما بينهم. وقد ولد عبد الرحيم نزارى - مؤلف مجمع الملاحم العظيمة ومؤلفات أخرى - فى حى بولاق باشى بكاشغرى فى سنة ١٧٧٠، وبعد أن تعلم عبد الرحيم نزارى القراءة والكتابة، استمر فى تعليمه فى مدرسة الخانية، وقرأ فيها مؤلفات أدباء وكتاب وشعراء الشرق المشاهير مثل الفردوسى وعبد الرحمن الجامى (مولانا) وعمر الخيام ونظامى وعلى شيرنوائى. وتعلم فى تلك الفترة اللغة العربية واللغة الفارسية.

وكانت كتابته الخطوط الجميلة يبلغ قدر كتابته الشعر، وطبقاً للوثائق التي بين أيدينا، فإن عبد الرحيم نزارى كان ماهراً جداً في تحسين الخطوط بنفس القدر الذى كان به شاعراً، وأفضل دليل على معرفة عبد الرحيم نزارى لمؤلفات كتاب الشرق المشهورين عن قرب هو كتابته لما يقرب من أربعين غزلية لعلى شيرنوائى، وكتب الملاحم رداً على خمسات نظامى وعللى شيرنوائى التي كانت معروفة لعالم الشرق، وأراد أن يثبت إلى أى مدى كان شاعراً مقتدرًا، وذلك لأن الأساتذة العظام فقط هم الذين كانوا يجروؤن على كتابة الخمسات (خمس قصص) هكذا، وقد أوجد عبد الرحيم نزارى وأصدقائه واحداً من الإبداعات المشهورة للأدب التركى الأويغورى المسماة قصص الحب.

وقد اكتسب نظامى الشاعر الآذرى الذى عاش فى القرن الثانى عشر كما هو معروف - اكتسب الشهرة لكتابة خمسته (الخمس قصص) للمرة الأولى فى الشرق. وطبقاً للرأى المقبول فإن القصص الخمسة المنظومة فى أزمنة مختلفة كانت تكتب على هيئة كتاب واحد. وقد كتب نخسرو دهلوى - الذى عاش فى الهند فى أوائل القرن الرابع عشر - كتب رداً على خمسة نظامى أى خمسة قصص فى الوزن وفى الموضوع اللذين فى مؤلف نظامى ولكن مختلف تماماً فى موضوع اجتماعى. وطوال القرون حاول العديد من الشعراء إبداع الخمسات ولكن لم يجروؤ على هذا شاعر قط بعد مؤلفات شعراء مثل نظامى ونخسرو وجامى ولكن على شيرنوائى أحيا هذا التقليد من جديد فى القرن الخامس عشر، وأبدع الخمسة التي

سار على منوالها الكثير في آسيا الوسطى وتركستان الشرقية.

إن عبد الرحيم نزارى الذى ظهر على الساحة الأدبية كشاعر مشهور فى النصف الأول من القرن التاسع عشر بالاشتراك مع الشعراء الأتراك الأويغور المتمكنين مثل نوروز آخون ضيائى وطوردى وغريبى قد أوجدوا العديد من القصص العظيمة من الخمسات فيما بين عامى ١٨٤١، ١٨٤٢ م.

وتدخل على هذه المجموعة من القصص المسماة قصص العشاق «فرهاد وشيرين» و«ليلى والمجنون» ورابعة وسعدين» و«واموق وأزرا» و«المحزون» مجموعة أخرى من القصص مثل «كلنسا» و«مسعود ودلارا» و«شاه بهرام». و«جهار درويش»، ويوجد فى مجموعة القصص هذه ما يزيد عن ٥٠ ألف مصراع من الشعر وسنكتفى هنا بأن نحاول تحليل قصة رابية وسعدية التى هى ضمن مجموعة هذه القصص - بشئ من الاختصار.

إن مؤلف عبد الرحيم نزارى المعروف فى الدوائر الأدبية والذى يتخذ مكانة بين هذه المجموعة القصصية، هو القصة المسماة رابعة وسعدين، وتحبى الوجهة الواقعية فيه ذكرى الحادثة التى أصبحت عبارة عن هذا المؤلف القوى جداً حتى أن الشاعر يعرفنا بالمكان والتاريخ اللذين وقعت فيهما الحادثة المفجعة فى المؤلف.

يروى فى القصة حكاية عاشقين ووضع اللذين تصارعاً من أجل عشقهما المبتلى بالحن وقدرهما وعلاقتهما مع المجتمع، ويفهم من

موضوع القصة أن هذه الحادثة وقعت في مدينة كاشغر بين عامي ١٨٣٢، ١٨٣٣، وهناك فائدة من ذكر هذه النقطة هنا منفردة، ذلك أن الصراع الذي أذكى ناره هذان الشابان اللذان يصورها الشاعر وذلك من أجل الحب الطاهر كان خطوة عظيمة لم تكن قد اتخذت حتى ذلك العصر وكانت نموذجاً للشجاعة، وهكذا فإن قيمة القصة ها هنا.

ويتناول عبد الرحيم نزارى في ملحمة رابعة وسعدين مبادئ القومية والحرية مثلما كان الحال في مؤلفات شعراء ومفكرى الشرق المشاهير مثل نظامى وعلي شيرنوائى اللذين عاشا قبله.

ويبدو أن عبد الرحيم نزارى قد راعى تماماً القوانين والأسس التى كانت مستقرة فى الأدب الشرقى وذلك فى أسلوب الملحمة. وقد كتب بوزن العروض خلال ملحمة رابعة وسعدين. والشاعر يجعل أبطاله يتحدثون بلغة تخصه فمثلا يقوم أبو راية بحركة مستهجنة جدا بين العائلة. وتصويره للبكاء بأصول بديعية على قدر كبير من التأثير.

وعرض الشاعر فى الملحمة قوتين معارضتين لبعضهما، بالحب والعدالة الإنسانية والتواضع، والخسة والزيف من ناحية أخرى. ولقد عبر عبد الرحيم نزارى أحسن تعبير عن الظلم والفوضوية والإجحاف أيما تعبير فى ملحمة، ذلك لأنه كان الشاعر الذى رأى عن قرب

ظلم الأسرة الحاكمة المانجو - صينية التي أخذت تركستان الشرقية في قبضتها، وكذلك شاهد حركاتها الظالمة المصحفة.

● نوروز آخون ضيائي:

إننا لا يمكن أن نتصور تاريخ الأدب التركي الأويغوري المكتوب قبل أن يصبح «قصصاً للعشق» إن هذا غير ممكن، وليس في الإمكان أيضاً أن نذكره بدون نوروز آخون ضيائي الذي كان واحداً من الشعراء الذين كان لهم إسهام كبير في ظهوره. وليست بين أيدينا أية معلومات صريحة لترجمة حال نوروز آخون ضيائي الذي كان واحداً من الشعراء الأتراك الأويغور العظام. ولكنه من المعروف أنه كتب مجموعة ملاحم عظيمة مع عبد الرحيم نزاری وطردي غريبی، ويذكر اسم نوروز آخون ضيائي في عدة مواضع من المؤلف المسمى «قصة العشق» وينبغي أن نؤمن بأنه كان شاعراً مجيداً لأنه عمل مع شعراء أترك أويغور مشهورين مثل عبد الرحيم نزاری وطوردي غريبی. والقصة الثانية في وامق وعزرا ومسعود ودلارا وجهار درويش الموجودين في المؤلف المسمى قصص العشق يخص نوروز آخون ضيائي. وتعطينا هاتان القصتان التي تكون أولاهما من ستمائة مصراع والثانية من ألفين وخمسمائة مصراع، تعطينا فكرة عن الأسلوب البديع الرائع وكفاءة الكاتب ومهارته.

وقد كتبت قصته وامق وعزرا لنوروز آخون ضيائي بشكل خاص بتقاليد الأدب الشرقي. وموضوع هذه القصة بإختصار هو كما يلي:

كان لأحد ملوك الهند ابنة جميلة تسمى عذرا، وبصور الشاعر
نوروز آخون ضيائي جمال عذرا كما يلي:

كان يوجد في القصر رجل عجوز يغسل ملابس الملك، وكان له
ابن يسمي وامق. وقد تربى وامق كشاب ذكي جداً وذو خلق حسن،
وكان كثيراً ما يساعد أباه في غسل الملابس، وبينما كان وامق يوماً من
الأيام يغسل الملابس مع والده رأى القميص الحريري لعذرا بنت الملك
وأصبح وامق الذي انجذب للرائحة الجميلة التي في هذا القميص الحريري
— أصبح عاشقاً لعذرا قبل أن يراها، ويعبر نوروز آخون ضيائي عن هذه
الرائحة الجميلة في هذه المصاريح.

بالرغم من تفكيره ليل ونهار في عذرا إلا أن وامق لم يكن يأمل
على الإطلاق في إمكانية رؤيتها أو إمكانية الوصول إليها. ومع أن الأب
الذي رأى حالة ابنه الشديدة، وكان يعمل على تسليته بالضرورة، إلا أن
هذا لم يكن مجدياً قط، ويعبر الشاعر نوروز آخون ضيائي هكذا عن أي
نوع من التسرية عنه لم يكن سيحدي في السطر التالي:

أن الماء يكون بلا نفع، إذا ما كان العشب كثيراً

أما الاكتواء بنار العشق فيصوره وامق هكذا:

لقد أحرقت نار العشق

وجعلت روحه مشتعلة كالموقد

إن وامق الذي تعذب على هذه الشاكلة قد مات دون أن يتمكن

من رؤية عذرا وقبل أن يصلها. وأوصى وامق قبل أن يسلم الروح أباه أن يدفنه في مكان تخرج إليه عذرا للتجول من وقت إلى آخر ونفذ أبوه رغبة ابنه الأخيرة هذه، ورأت عذرا قبر وامق بينما خرجت للتنزه ذات يوم فتأملت وسألت لمن يكون هذا القبر فحكى لها العالمون بالخبر عن الموقف وحكوا لها الواقعة. ومرضت عذرا التي استاءت جداً من هذا الأمر، من حزنها، وماتت بسبب عدم إمكانية إنقاذها. وأوصت قبل أن تموت بأن تدفن إلى جوار وامق، وهكذا يكون مغزى القصة وقصة مسعود دلارا وهي للمؤلف لنوروز آخون ضيائي لها نفس الموضوع تقريباً. ويتضح في نهاية المؤلف أن نوروز آخون ضيائي هو الذي كتب هذه القصة وهو بنفسه يقول عن كتابته لها.

تعالى أيها الساقى وقدم الكأس لضيائي.

ولقد ظل نوروز آخون ضيائي مرتبطاً بالمبادئ الجمالية والفكرية للشعراء المشهورين مثل على شيرنوائي وعبد الرحيم نزاری، ويبدو من خلال مؤلفيه هذين أنه أراد بكل وضوح أن يعمل على استمراريتها.

ولم يكرر نوروز آخون ضيائي الشاعر التركي الأويغوري الشهير في مؤلفاته أسلوب الشعراء الذين عاشوا قبله بطريقة آلية حينما ظل مرتبطاً بهذه المبادئ، بل على العكس من ذلك فإنه قد عمل على استمراريتها وتطويرها، وعلى تقوية الوضع الرومانسي الإنساني في تلك المؤلفات.

ولقد حمى نوروز آخون ضيائي بمؤلفه وامق وعذرا ومسعود ودلارا،

أستاذه عبد الرحيم نزارى وكذلك حمى أفكاره تماماً، وبهذا يكون قد طور
الأدب التركى الأويغورى إلى حد بعيد.

● سيد محمد كاشى:

إن سيد محمد كاشى هو أحد الشعراء الأتراك الأويغور من القرن
التاسع عشر وقد صنع سيد محمد كاشى شهرته بمؤلفه المسمى «شرح
شكسته أو بيان المصيبة» الذى ألفه بجوار نهر إيلى الموجود فى منطقة
الأتراك الأويغور «يدى صو» ولا يعطينا بانطوصوف العالم السوفيتى
الشهير الذى نشر مؤلفاته لأول مرة، لا يعطينا معلومات متعددة عن
سيد محمد كاشى. ومن الممكن فقط أن نعرف وقت كتابة ترجمة حاله،
ومؤلفه الذى مر ذكره آنفاً.

وقد أتمت قصته هذه فى تاريخ ١٨٨٢-٣-٨ طبقاً للمعلومات
المعطاة فى نهاية المؤلف المسمى «شرح شكسته» إثبات الجزء الثالث من
المؤلف فيقال «زاد عمرى عن الستين، ولم تعد بى قوة، ونظراً لأن سن
الشاعر فى سنة ١٨٨٢ أى عندما أنهى المؤلف كان قرابة الستين عاماً،
فمن الممكن أن نضمن أنه ولد فى سنة ١٨٢٢ م. وطبقاً لما هو مذكور فى
موضع آخر من نفس المؤلف أيضاً فإنه كان طفلاً لعائلة فقيرة. وإذا كنا
سننظر فيما كتب فى المؤلف المسمى شرح شكسته (بيان المصيبة) فقد
جاء سيد محمد كاشى مع الأتراك الأويغور الآخرين الذين هاجروا من
أراضى تركستان الشرقية إلى منطقة جلك الواقعة داخل أراضى الاتحاد

السوفيتي الآن. وليس من الواضح عما إذا كان للشاعر مؤلفات غير المؤلف المسمى «شرح شكسته» من عدمه، وكذلك متى وأين توفي أما إذا كنا سنأخذ بعين الاعتبار أن مؤلفه كتب بمهارة شاعرية، فإننا يمكن أن نخمن أنه يمكن أن يكون قد كتب مؤلفات أخرى.

ومؤلف الشاعر المسمى شرح شكسته هو عبارة عن خمسة أقسام، كتب ثانيهم في شكل مثنوي أما الأقسام الأخرى ففي شكل المخمسي، وخمس المؤلف فقط عبارة عن ٥٤٠ سطرًا. وإذا كان المؤلف يصور هجرة الأتراك الأويغور إلى ولاية "يدى صو" فقد نجح الشاعر في أن يخرج خارج هذا الموضوع بتمكن شديد، وعبر عن الآلام التي عاناها شعب تركستان الشرقية عند اجتياز الحدود وعن آمالهم ورغباتهم بلسان فصيح وواقعي. ومثلما هو معروف فإن الغزاة المانجو صينيين قد سحقوا شعب تركستان الشرقية وبلغ التحكم أبعد حدوده ووصل الظلم إلى درجة لا يمكن تحملها. وهكذا فإن سيد محمد كاشي قد أحيا بلسان فصيح، الآلام التي عاناها أتراك الأويغور من الغزاة المانجو صينيين في كتابه وميزة أخرى لسيد محمد كاشي هي ارتباطه بشعبه ووطنه بدرجة فائقة، ومع أن الشاعر يتحدث عن الوضع اليائس لشعبه من خلال كتابه المسمى «شرح شكسته» إلا أنه لم يقطع الأمل إطلاقاً من أنهم سوف ينتصروا ويصلوا في يوم من الأيام.

ويبين مؤلف سيد محمد كاشي أنه شاعر مجيد ومتمكن، وقد كتب هذا المؤلف بلغة جميلة جداً ومعظم الشعر له رؤية جمالية حقيقية. فمثلاً

يُحس في بعض مواضع من المؤلف أنه بسبب عدم القدرة على تحمل الظلم المانحو صيني وبسبب هجرته إلى الأقطار الخارجية، يُحس بمتهى التأثير بوداعه لوطنه، لقد كان سيد محمد كاشي معبراً قومياً حقيقياً عن شعبه. ولهذا فإنه لم يستطع أن يذهب ويتركه في المحنة وحيداً. وهو يوحد قدره وقدر شعبه. ويتحدث هكذا: إن حزننا لن يدوم ولن يستمر ذلنا هكذا ومهما كانت أسبابه، فإن هذا الوطن يدرك أنه زائل».

ويشكو سيد محمد كاشي في عدة مواضع من مؤلفه المسمى بيان المصيبة من المصائب الأليمة التي حلت بوطنه وأمته. وهو يتضرع إلى الله من أجل إنقاذها. وهذه أيضاً نقطة توضح أنه كان مرتبطاً جداً بدينه.

● طوردي غريبى:

وطوردي غريبى هو أحد الشعراء الأتراك الأويغور الذين اكتسبوا الشهرة، في النصف الأول من القرن التاسع عشر. وليست لدينا معلومات كافية عن ترجمة حاله، ولكن من المعروف أنه اشترك مع عبد الرحيم نزارى ونوروز آخون ضيائى في كتابة مجموعة القصص المسماة قصص العشاق، وبالإضافة إلى ذلك فإن طوردي غريبى هو مؤلف قصة «شاه بهرام» والمؤلف المسمى «كتاب غريبى». ولطوردي غريبى أيضاً الكثير من الغزليات التي قام بكتابتها. ويمكن قراءة السطور التالية في نهاية قصته كتاب غريبى سالف الذكر:

عندما أصبحت كاشغر تحت حكم الملك

وكان القصر والجاه لا يرغب فيهما، اذا تكلم
ولما أصبح هو نفسه ملك الملوك
وهاجمته المنية، ومات القلب
تملك تاج العرش من يدعى ظهور الدين
وسارت الشريعة في زمانه
لقد أتعبتني الغربة في هذا العالم
وكان اسمي طوردي وغريبي هو اللقب،
ولما ذهبت لراعي الرعية
سمعت أوامره وفرماناته
وعرضت عليه كتاباتي
وعجباً!!، ما أكثر الذنوب في هذا العالم
وسميت «كتاب غريبي»
فاعتبروا بي، وبغريبي أيضاً
واعلموا أني كمن صعد مائتين وخمسين جبلاً.

ومن هذه النبذة نستطيع أن نخمن أن اسم الشاعر طوردي، ولقبه
غريبي، وأن القصة كُتبت في سنة ١٢٥٧ هجرية وبين عامي ١٨٤١،
١٨٤٢ ميلادية. وقد كتب المؤلف بأمر ظهور الدين حاكم كاشغر.
وطبقاً لهذا نستطيع أن نتقبل أن المؤلف قد كُتب في كاشغر، لأنه يتضح
من السطور السابقة أن الشاعر عاش في قصر الحاكم.

وليست هناك معلومات عن حياة الشاعر وعناصره الفنية، ولكننا

يجب أن نضيف نقطة هنا، وهي أن طوردي غريبى قد أصبح عالماً عظيماً في عهده. وعلى سبيل المثال نستطيع أن نعرض مؤلفه المسمى «شاه بهرام» وهو أهم أعماله لأننا حينما نقرأ مؤلفه المسمى «شاه بهرام» نرى أن الشاعر كان صاحب علم غزير بصدد القبائل التركية الأخرى وأدباء وشعراء الشرق المشاهير وخاصة مؤلفات على شيرنوائى، وإذا كان هناك كتاب آخر يؤيد أن درجة علم طوردي غريبى كانت سامية فهو كتابه المسمى «كتاب غريبى». ولنلقى الآن نظرة سريعة على المؤلف المسمى «شاه بهرام» لطوردي غريبى. الذى لم يُدرس بعمق حتى اليوم، وذلك بالرجوع إلى المواد الموجودة تحت أيدينا.

صادف شاه بهرام الذى خرج للصيد في يوم من الأيام - درويشاً وسأل شاه بهرام الدرويش قائلاً من أين تأتى؟ وبم أنت مشغول؟ ورد الدرويش هكذا على سؤال شاه بهرام هذا.

قال الضيف إننى أفسر الكلمات وأسير، وأجول داخل البلاد وقد رأيت ما يحدث داخل هذا العالم وشاهدت سور الخطاى وكان من بينهم تاجر وعلى وجه العموم، كان غائباً حاضراً وكان عدد أمواله وفيراً وكان كل من يريد، يأخذ بوفرة ولكن جاءه ملك يوماً، ملك جميل اسمه دلارام إننى لم أتصور جمالها أبداً وسجلته في كتاب النواة ولكن جمالها فقط ندى يصلنى منه صدى في كل لحظة.

وبعد هذا الرد يُظهر الدرويش لشاه بهرام صورة البنت الجميلة

المسماة دلارام التي مر ذكر اسمها في الشعر. ولم يكذ شاه بهرام يرى صورة
دلارام حتى فتن بجمالها وسألها هذا السؤال.

- ما علاج هذا الأمر أيتها الأميرة؟

- وما هو ثمن وصالك؟

ورد الدرويش بهذا الرد على ذلك السؤال:

- قال إن الرأي الذي أقتنع به

- هو أن يأتي ذلك القمر إلى هذا العبد

- وليحدد ملك الخطاي مهرها

- والآن، وقد تم مرادك

- فهي رسالة أتمت لمن يقرأها

- وهي تؤتي أكلها كل حين

وبناءً على ذلك يتوجه شاه بهرام إلى حاكم المانجو من أجل أن

يزوجه دلارام، ويرسل السفراء إلى بكين وبعد أن يقرأ حاكم المانجو الذي

استقبل السفراء في حضرته، خطاب شاه بهرام.

- رأيت بعينيك أن الشتاء قد حل

- والخيال، لا يفيد، والقضاء ينفذ سريعاً

- فتعال، وصلنا، واعرف نفسك

- وشاهد وجه دلارام الوردى.

وفي النهاية يأخذ سفراء شاه بهرام الذاهبون إلى بكين، ودلارام معهم ويعودون إلى كاشغر، ويُفسد شاه بهرام الذي افتتن بجمال دلارام وانشغل بها بصورة دائمة - أمور الدولة، وفتح هذا الوضع، الطريق لثورة الأهالي.

ويخرج شاه بهرام في أحد الأيام للصيد، ويحضر معه دلارام، وكان الحاكم قد اكتسب شهرة بكونه مصوباً ممتازاً، فضرب غزالة تجرى، بسهم من أجل أن يبين لدلارام مهارته هذه في التصويب. وتخطب دلارام التي شاهدت هذا، شاه بهرام هكذا كأن شيئاً لم يكن.

- قالوا إن من يقوم بهذه الأفعال

- يصبح ساعياً، ويصبح عيناً (ذات بصيرة).

ومن الطبيعي أن شاه بهرام لم تعجبه هذه الكلمات، وأراد الملك الذي لم يستطيع أن يتحكم في أعصابه أن يدق عنق دلارام، ولكن من في معيته ذكروه أن السلاح لن يكون من الممكن استخدامه ضد امرأة. وبناءً على ذلك فقد أمر من في معيته أن يبعدوها عن عينيه. ولكن الملك الذي بحث عن دلارام بمجرد أن فتح عينيه في اليوم التالي أحس بالندم بسبب ما فعله. وأمر بالبحث عنها في كل مكان بالدولة. ولكن ليس من الممكن العثور على دلارام. ومرض شاه بهرام ولم يستطع الأطباء أن يجدوا أي دواء لمرض الملك هذا.

وفي النهاية يأتي عازف رباب يسأل يوماً من الأيام ويبلغ الملك أنه صادف بنتاً غاية في الجمال في ديار هزارم وحكى له أن هذه البنت

كانت موجودة في قصر شاه بهرام، وبناءً على ذلك أرسل الملك في الحال رجاله من أجل أن يأخذ هذه البنت. وكانت البنت الموجودة هي نفسها دلام وفي النهاية يلتقي شاه بهرام ودلام مع بعضهما بعد فراق طويل. وهكذا يكون مغزى قصة شاه بهرام التي كتبها طوردى غريبى باختصار.

لقد كان طوردى غريبى شاعراً تركياً أويغورياً له قدرة إبداعية عالية وهو ليس فقط مؤلفاً للمؤلفات التي كتبت بأسلوب داوم عليه من قبله فيما يتعلق بدلام وشاه بهرام. وهو في نفس الوقت مبدع للغزليات التي يمكن أن ترد بمعنى الكلمة على الأسلوب التقليدي من كل وجه ومن كل أشكالها، وعلى سبيل المثال فإن مؤلفه كتاب غريبى لا يشبه قط أى مؤلف في الأدب التركي الأويغورى المكتوب.

● موللا شاكى:

لا يسعنا إلا أن نتوقف عند موللا شاكى عندما ندرس كلاسيكيات الأدب التركى الأويغورى، والمؤلف المعروف في الدوائر الأدبية للموللا شاكى هو القصة المسماة بـ «ظفر نامة»، وليست بين أيدينا معلومات كافية عن حياته وجهده نظراً لأنه ليست بين أيدينا مادة أخرى. وهناك معلومات مختصرة عن مكان وزمان ولادة الشاعر في نهاية قصته المسماة «ظفر نامة».

واستناداً إلى هذه الأسطر يمكننا أن نستنتج أن موللا شاكى ولد في عام ١٨٠٥، وأنه أتم مؤلفه المسمى «ظفر نامة» في عام ١٨٦٦، وأنه كان يبلغ من العمر ستين عاماً عندما أتم هذه القصة. واستطاع

موللا شاکر أن يتم قصته المسماة «ظفر نامه» في خلال خمسة أشهر. وقد وهب أربعين سنة من حياته تقريباً لمجهوداته الأدبية، وبناءً على هذا فإنه لا بد أن يكون موللا شاکر قد كتب عدة مؤلفات أخرى، ولكن حتى اليوم لم يُتمكن من إظهار مؤلفاته هذه، وينبغي أن نضيف هذه النقطة أيضاً إلى المعلومات القصيرة عن موللا شاکر التي ذكرناها آنفاً، لقد اشترك بالفعل في الثورات التي قامت في تلك العهود في تركستان الشرقية ممسكاً بسلاحه في يده ويحیی مؤلفه المسمى «ظفر نامه» ذكرى هذه الثورات. وميزة أخرى لموللا شاکر وهي معرفته الجيدة بتقاليد الأدب الشرقي. ونحن عندما نقرأ مؤلفه المسمى «ظفرنامه» نستطيع أن نتأكد أن الشاعر حلل جيداً المؤلف المشهور المسمى «ديوان لغات الترك» لمحمود الكاشغري. وإذا كنا قد ذكرنا على سبيل المثال أن الكاشغري قد ارتحل اثنا عشر عاماً حتى يكتب مؤلفه فإن موللا شاکر يمدنا بنفس المعلومات في مؤلفه وهناك احتمال كبير أن يكون موللا شاکر عالماً بالشعر الفارسي الكلاسيكي لأن هذا المؤلف قد كتب بوزن العروض. وكان موللا شاکر في مؤلفه نفسه يشكو من الاهتمام الشديد بالأدب الفارسي في ذلك العصر. وكل هذا يدل على أن موللا شاکر كان شخصاً ذا علم غزير في عهده. وفي نفس الوقت كان مواطناً حقيقياً محباً لوطنه. وكان شاعراً مرتبطاً جداً بشعبه ومؤمناً بنصرة شعبه، ولهذا فإن موللا شاکر قد سمي قصته «ظفر نامه» أي «قصة النصر».

نستطيع أن نفهم من موضوع القصة أن موللا شاکر كان قد اشتهر

شهرة عظيمة في عصره مثل موسى صايرامى المؤرخ التركى الأويغورى وأنه قد تعرف على الشخصيات المشهورة في عمله، ومع الأسف فإن الشاعر لم يبين أين كتب مؤلفه المسمى «ظفر نامه» ومن الصعب أن نخمن حتى متى ولد ومتى توفي؟، ولكن نظراً لأنه كتب مؤلفه المسمى «ظفر نامه» في فترة قصيرة مثل خمسة شهور وأنه كان يبلغ من العمر واحداً وستين عاماً عندما أتم هذا المؤلف فنستطيع أن نذكر أنه كان لا يزال مستمتعاً بحيوته في هذه السن.

ويصّور موللا شاكى في مؤلفه المسمى «ظفر نامه» الثورات القومية لشعب تركستان الشرقية، والحروب التى تمت ضد القوات الغازية بلغة حية جداً. ويفهم من هذا أنه اشترك بنفسه في هذه الثورات وانضم إلى هذه الحروب. وتكمن قيمة المؤلف المذكور فى اشتراك مؤلفه الفعلى فى الثورات القومية، وفى قدرته الإبداعية المتفوقة، ونحن عندما ننتبه لمقدمة وموضوع الكتاب فقد استهدف الكاتب أن ينتهى هذا الصراع بالانتصار، وصور الصراع المسلح بلغة شاعرية. ولقد صورت الحياة بطريقة واقعية جداً فى قصة موللا شاكى مثل المؤلفات الرائعة المكتوبة فى القرن التاسع عشر. ولقد كان الأتراك الأويغور فى هذا العصر يقومون بحروب ضد الغزاة المانجو صينيين. ويرد ذكر الثورة القومية التى سببت الانفجار فى مدينة كوجار فى سنة ١٨٦٤، من بين هذه الثورات القومية فى قصة موللا شاكى المسماة «ظفر نامه» وطبقاً لما هو مذكور فى قصة ظفر نامه، فإن أتراك الأويغور قد قاموا بالثورة فى عام ١٨٦٤ تحت قيادة

رشيد الدين خوجه، وهاجموا قلعة مانجو صينية في مدينة كوجار وقضوا على الجنود المانجو صينيين في كوجار عن آخرهم، وأعلن رشيد الدين خوجه نفسه سلطاناً وبعد ذلك قام الجنود الأتراك الأويغور الذين كانوا تحت قيادة رشيد الدين خوجه بتطهير كاشغر ومدن تركستان الشرقية الأخرى من المانجو صينيين.

● بلال ناظم:

إن بلال ناظم هو شاعر تركي أويغوري آخر اكتسب شهرة في القرن التاسع عشر. ولد بلال ناظم في مدينة غولجا بتركستان الشرقية في سنة ١٨٢٥، وقد أنفق أبوه كل ماله واجتهد في تعليم بلال ناظم. وقد رأى استعداد ابنه في الموسيقى والشعر وأعدّه للتعليم المدرسي. وقد قرأ بلال ناظم منذ كان صغيراً في السن، المؤلفات الكلاسيكية المشهورة لشاكر، وتعلم حينذاك اللغة الفارسية. وخلاف ذلك فقد كتب بلال ناظم الشعر ولحنه. وذهب بلال ناظم إلى مدرسة في غولجا عندما بلغ من العمر اثنين وعشرين سنة. وبعد أن أتم تعليمه المدرسي صار إماماً على أحد الجوامع الكائنة في غولجا وخلال ذلك فقد أعطى الشرارة لإحدى الثورات القومية في غولجا. ونتيجة لهذه الثورة فقد تكونت سلطنة في «إيلي» في عام ١٨٦٤. وكنتيحة لتأثير هذه الثورة في المدن الأخرى لتركستان الشرقية فقد ظهرت إمارة أيضاً في كاشغر في سنة ١٨٦٧. وقد أخذ بلال ناظم أيضاً سلاحه في يده، واشترك مع أخيه الأكبر جلال الدين في الثورة القومية، وحارب ضد الغزاة المانجو - صينيين، وبعد الثورة القومية عاد

بلال ناظم مرة أخرى إلى واجبه في الجامع. وعمل في نقل المخطوطات القيمة، وكتابة شكاوى المواطنين وانشغل بلال ناظم في نفس الوقت بالسياحة، وجمع العناصر الفولكلورية من الأماكن التي ذهب إليها.

وخلال فترة انشغال فيها بلال ناظم بهذه الأعمال، وبعد انسحاب جنود روسيا القيصرية الذين احتلوا ولاية إيلي بتركستان الشرقية لفترة مؤقتة فقد شاهد أنواع الظلم - التي قام بها الغزاة المانجو صينيين الذين احتلوا ذلك المكان مرة ثانية - التي وقعت على الأهالي المحليين. وقد هاجر الآلاف من التركستانيين الشرقيين الذين خافوا من عودة وانتقام المانجو صينيين عندما كانت القوات الروسية تنسحب - هاجروا إلى داخل الأراضي الاتحاد السوفيتي السابق، وخلال تلك الفترة أخذت صحة بلال ناظم في الاعتلال تدريجياً. وفي سنة ١٨٩٠ أصبح بلال ناظم لا يتمكن من الرؤية. والحاصل أنه عندما وصل الظلم المانجو صيني إلى درجة لا يمكن تحملها فقد هاجر إلى مدينة بانفيلوف الحالية في الاتحاد السوفيتي ومات هناك في عام ١٨٩٩.

لقد كتب بلال ناظم تقريباً كل أشعاره عندما كان يدرس في المدينة وفي النهاية جمع كل أشعاره هذه في ديوان، وأسماه «غزليات»، وتعني الغزليات مجموعة من شعر الغزل. وكما هو مدون فقد نسخت مؤلفاته عدة مرات لأنه لم تكن توجد مطابع خلال تلك العهود. وهكذا أمكن تداوله بين الشعب ولم يكن بلال ناظم شاعراً غنائياً متمكناً فقط حيث إنه في ذات الوقت كان مبدعاً لعدة مؤلفات قصصية. وأشهرها القصص

المسماة «جانموزا يوسف خان» و«نوزوغوم» (nuzugum). ويروي بلال ناظم في مؤلفه المسمى «نوزوغوم» والمكتوب في طراز قصصى الحياة الكتيبة لبنت تركية أويغورية، وكذلك يروي البطولات التى قامت بها من أجل حريتها. واسم هذه البنت البطلة نوزوغوم، وتحتل مكانا فى هذه القصة الأبيات التى قالتها نوزوغوم مصورة فيها وضعها الكتيب. وقبل تحليل مفهوم هذا المؤلف لبلال ناظم، وإتجاهاته الفكرية، لابد وأن نذكر أن «نوزوغوم» قد فتحت عصراً جديداً فى الأدب الكلاسيكى الأويغورى التركى. فى الحقيقة، لقد جمع ممثلوا الأدب التركى الأويغورى الأغاني الشعبية حتى عهد بلال ناظم وأضافوا فكرهم الأدبى إليها. وليس من الممكن أن نرى مثالا آخر يعطى قيمة لجهد البطلة التى خلقها فى نهاية المؤلف.

وكما هو معروف، فقد حدثت ثورة ضد الغزاة المانجو صينيين فى كاشغر فى عام ١٨٢٥. وقضى الغزاة على هذه الثورة القومية بشكل دموى فى فترة قصيرة. وقتل معظم الذين اشتركوا فى الثورة. أما النساء فكنَّ يُعن فى الأسواق لقبائل القالموق، وكانت من بين هذه النساء بنت تدعى نوزوغوم، وليست هناك معلومات كافية عن مكان ميلاد نوزوغوم وعن عائلتها. ولكن من المعروف أنها كانت شخصية حقيقية وكانت جميلة جداً وشجاعة، بل وكانت شاعرة. ومن أشعار نوزوغوم يُفهم أنها كانت من كاشغر وكانت لها أسرتها المكونة من أمها وأبيها وأخيها الأكبر وجدتها.. ويُفهم أنها كانت متزوجة وكان لها ثلاثة أطفال، ويرجح أن زوجها وابنها الأكبر قد قُتلا على أيدي المانجو صينيين، وإذا كانت

نوزوغوم قد هربت عدة مرات بعد وقوعها في يد العدو إلا أنها قد قبض عليها في النهاية وتم توقيع العقوبة عليها.

وتكمن أهمية هذا المؤلف في كون نوزوغوم سيدة تركية أويغورية وطنية جداً أو مرتبطة بوطنها وأمتها. ولقد أضاف بلال ناظم - الذي كان شاعراً شعبياً حقيقياً - إلى الإرادة الصلبة نوزوغوم ووطنيتها وحبها أيضاً. ولم يكتف بلال ناظم فقط بجمع القصص عن نوزوغوم وأغانيها الشعبية. ووضح رأيه فيها وأعلن ذلك في جمعية خيرية ذلك، لأن أفكار بلال ناظم المتعلقة بحبه لوطنه وأمته، والعمل على استقلال وطنه، كانت متطابقة مع أفكار نوزوغوم.

ويركز هذا المؤلف لبلال ناظم على وقفة هامة من تاريخ الأتراك الأويغور، فبين هذا المؤلف إلى أي مدى كانت البطلة الشعبية نوزوغوم مهمة بمستقبل وطنها، وتكمن القيمة الحقيقية لهذا المؤلف في الأصل في هذه النقطة.

وهناك مؤلف مشهور آخر لبلال ناظم، وهذا المؤلف المسمى «كتاب غزات درمليك جين»، وقد كتب هذا المؤلف بروح تقليدية، ويعتقد أن المؤلف قد كتب بين عامي ١٢٩٢ - ١٢٩٣ هجرية، وهذا المؤلف هو أحد أقل المؤلفات نقداً لبلال ناظم. وتحتل حروب الأويغور مع المانجو صينيين - كما هو معروف مكانها في تاريخ الأويغور في القرنين الأخيرين. ومن أجل هذا فقد خصصت هكذا لهذه الموضوعات

بعض المؤلفات في الأدب التركي الأويغوري أيضاً. وأحدها هو الكتاب المسمى كتاب «غزاة درملك جين» لبلال ناظم. ويروي بلال ناظم في مؤلفه هذا معلومات عن ثورة قومية كبيرة امتدت إلى عدة ولايات من تركستان الشرقية في الفترة من ١٨٦٤-١٨٦٧. وطبقاً للمعلومات التي أمدنا بها فقد اشترك في هذه الثورة مسلمون صينيون كانوا يتخذون اسم تونكان (هوى)، وذلك بالإضافة إلى الأهالي الأتراك الأويغوريين بتركستان الشرقية. وقد قاد هذه الثورة البطل التركي الأويغوري المسمى مَزَم زات. أما قائده فكان البطل المسمى عبد الرسول بك. وقد هدم البطل صادر بلوان - الذي كان موجوداً في السجن خلال هذه الثورة - أسوار بايانداي التي كانت ثكنة خلال للجنود المانجو صينيين، وأمن دخول الجنود الأتراك الأويغور إليها.

ولكن لم يستطع الأتراك الأويغور أن يتحملوا المزيد نتيجة لحصول المانجو صينيين باستمرار على المساعدات وفي النهاية تمت هزيمتهم مرة أخرى.

وكما أوضحنا من قبل فإنه ليست هناك معلومات كافية عن حياة بلال ناظم وقد استمدت معظم المعلومات عنه من خلال أعماله، وعلى وجه الخصوص، يمكن الحصول على معلومات وفيرة عن بلال ناظم من كتابه المسمى «كتاب غزات درملك جنى». ويتضح في كتابه هذا أن بلال ناظم قد أخذ سلاحه في يده، وحارب ضد الغزاة جنباً إلى جنب مع أخيه الأكبر جلال الدين وقد كتب بلال ناظم خمسة وأهداها لأخيه الأكبر جلال الدين.

«منذ أن كان عمري أربعة أو تسعة أعوام حتى صرت هراً في سن المائة

ومنذ أن كانت قامتي منتصبه كالألف خضت غمار الحروب مع أخي»

ويذكر بلال ناظم في هذه السطور أنه كان بدأ يكتب هذا المؤلف عندما كان في سن السادسة والثلاثين وبدأ يشترك في الثورات القومية، وأنه كان قد وصل إلى سن المائة كاهرم. وأن ظهره الذي كان منتصباً كحرف الألف قد انثنى.

لقد كان بلال ناظم أديباً تركياً أويغورياً كلاسيكياً مبدعاً وبالإضافة إلى كتابة الغزل والمخمس (الخمسات) فقد عمل بالموسيقى. ومن أجل هذا يمكننا أيضاً مقارنة بلال ناظم بعلي شيرنوائي. ومن الطبيعي أن تمكن بلال ناظم في الشاعرية كان أعلى من تمكنه في الموسيقى. ومن الطبيعي أن الشاعر لم يتمكن من كتابة مؤلفات في الموسيقى حيث إنه لم يُعتاد كتابة النوتة الموسيقية في تلك العهود.

وتوجد فائدة هنا في تسجيل هذه النقطة، وذلك أن بعض مؤلفات بلال ناظم لا زالت تعيش بين الشعب حتى اليوم كأغاني شعبية، ويعرف الأويغور تقريباً كل أغانيه مثل «لم تضحك»، «حبيبي»، «على جبينك»، «الليالي»، «ما استطعت أن أجد»، كانت «هملر بجانبك»، إذا مت ينمحي إسمي».

وبلال ناظم في نفس الوقت إنسان مثقف جداً، وكان واقفاً على

الأدب الشرقي بكل معناه، ومن وقت إلى آخر تصادف في غزلياته أسماء تحتل مكانها في الأدب الشرقي مثل ليلى والمجنون وفرهاد وشيرين، ورستم، وواق وعزرا.

ويُظهر بلال ناظم نفسه كتلميذ لأكبر شعراء الشرق الغابرين وأدبائه. فكان بلال ناظم متيماً بعبد الرحمن الجامي وعلى شيرنوائى. وهذه النقطة هنا مثيرة جداً، فقد رآه بلال ناظم في رؤياه وارتبط به بحب كبير. ويقول بلال ناظم في أحد أشعار الأمثال:

«ذات مرة في رؤياى كنت أقف على شاطئ البحر
وانشقت الأرض، وظللت في ذلك المكان المذموم
واختلطت الأرض بالماء، ولما كان الهلاك في البحر
امتألت بالدهشة والخوف.

وفجأة ظهر حضرة مولانا الجامي
ولما عرف العبد حبيبه
التصق به

وتحررت منذ ذلك الوقت
وعثرت على المقدس لمولانا الجامي
والتصقت بالشعر وأصبحت شاعراً.

● شمس الدين:

إن شمس الدين هو شخصية أخرى تحتل مكانة هامة في الأدب

التركي الكلاسيكي الأويغوري. وشمس الدين هو مؤلف العمل المسمى «غريب وشاه سنم» "senem sah ve Garib"، ونسخة من هذا المخطوط مخبأة في عاصمة جمهورية كازاخستان. وطبقاً للمعلومات التي بين أيدينا فإن الصفحتين الأولى والثانية لهذا المؤلف ناقصتان. وفي الأغلب الأعم فإن المعلومات المتعلقة بالشاعر كانت في هاتين الصفحتين المفقودتين، وليس من الممكن الحصول على معلومات عن اسم مؤلف العمل المسمى «غريب وشاه سنم» بالكامل، وكذلك عن وقت كتابة المؤلف. ولكن طبقاً لما يُفهم من نص المؤلف، فإنه من المحتمل أنه كُتب في سنة ١٨٨٨ في مدينة أوج طورفان بتركستان الشرقية.

ويؤيد هذا، السطور المذكور فيها: ومع هذا الجبل جبال مزدوجة، تربط الطرق الغربية. وطبقاً لما نفهم من هذه السطور فإن المؤلف المسمى «غريب وشاه سنم» قد كُتب بعد مدة من طرد قسم من أتراك الأويغور من جنوب تركستان الشرقية إلى وادي «إيلي» على يد المانجو صينيين. وخلاف ذلك، فإذا رجعنا إلى مغامرات العشق بشأن «غريب وشاه سنم» في الآداب المكتوبة في اللهجات التركية، نرى أنها قد كتبت بين عامي ١٥٨٧، ١٦٢٨ اللذين كان يحكم إيران خلالهما الشاه عباس الأول. وتؤيد بعض المصادر أن العشق المغبون داخل «غريب وشاه سنم» قد تمت روايته، وقد قام شمس الدين بتحويل هذه الروايات التي انتشرت بدرجة كبيرة في آسيا الوسطى وتركستان الشرقية إلى صيغة أدبية من الكلاسيكيات التركية الأويغورية في القرن التاسع عشر. وكانت لشمس

الدين - الذى كتب الروايات التى ظهرت فى الشرق بشأن «غريب وشاه سنم» - وبشأن أسلوب كتابتها، والذى صور حياة التركى الأويغورى - كانت له معلوماته عن علي شير نوائى وعبدالرحيم نظارى وجهود أدبية لشعراء مشاهير آخرين. وكان شمس الدين أحد الشخصيات العاملة بعصره. وخلاف ذلك فإننا يمكن أن نصادف أسماء أبطال مر ذكر أساميهم فى المؤلفات التى كتبها شعراء الشرق المشاهير مثل علي شير نوائى وعبدالرحيم نظارى، وذلك فى مؤلف شمس الدين.

ومع الأسف فلا توجد معلومات كافية عن تواريخ ميلاد ووفاة شمس الدين. وليس من الواضح أيضا سواء كتب مؤلفات أخرى أم لا. وموضوع مؤلفه المسمى «غريب وشاه سنم» للشاعر كما يلى:

كان يوجد ملك ذو قلب عطوف يسمى الشاه عباس فى مدينة بكرى ابدال فى منطقة ما وراء النهر، وذات يوم من الأيام يأتى من بغداد إلى مدينة بكرى ابدال تاجر يسمى حسن، ويتعرف على الملك، ويصبح مظهرًا لحبه وثقته. ونتيجة لذلك يعين الشاه عباس، حسن وزيراً له. وكان أشد ألم لدى الشاه عباس وحتى الوزير هو عدم وجود أطفال لكليهما. وحيث أن اتفق الشاه عباس مع حسن الوزير على أنه إذا ما رزق أحدهما بنت ورزق الآخر بابن فإنهما سوف يزوجانهما لبعضيهما. ويمضى الزمان ويصبح للملك بنت، ولحسن الوزير ابن. وسميت البنت كلنشمن ثم «شاه سنم» فيما بعد. وإذا كان ابن حسن الوزير قد سُمى عبد الوهاب، إلا أنه ذكر بـ «غريب» فيما بعد. ولما بلغ غريب سن

الثالثة مات أبوه حسن الوزير وأصبح يتيماً وعُين بدلاً من حسن الوزير وزير يسمى عين الدين. ولما بلغ غريب الخامسة عشرة من عمره صادف سيدة تلف حبلاً وتضرب بالسهم على حجر المسن، وتطلب السيدة من غريب أن يلقي السهم على كلنشمن بدلاً من الحجر، ولكن عندما يكرر غريب قذف السهم تقول له السيدة:

«يا بني إستمع لكلامى، إن الشاه عباس ليس أباك، وإن أباك كان هو حسن الوزير، وقد مات حسن الوزير عندما كنت فى الثالثة وكان أبوك قد اتفق مع الشاه عباس قبل أن تولد ووعدته بأن يزوجه من كلنشمن، فيا ترى هل سيزوجه الشاه عباس الآن من كلنشمن.

وبدا غريب - الذى اندهش لهذه الكلمات - ينظر إلى كلنشمن هذه المرة بعين مختلفة ومع الوقت ارتبط غريب بشاه سنم بعاطفة قوية، ونسى الشاه عباس - الذى فهم هذا - الكلمة التى كان قد أعطاهها لحسن الوزير فيما قبل، ووضع ابنته تحت سيطرة محكمة وتتبع حركات غريب. ولكن الشاه عباس الذى رأى أن غريب لم يستطع أن يترك شاه سنم - أمر بنفيه خارج حدود الوطن.

وهكذا عاش غريب - الذى طرد إلى مدينة شيروان - أياماً عصيبة، أما شاه سنم التى افترقت عن غريب، فقد تعذبت كثيراً ومرضت نتيجة لهذا، ولم يجد نفعاً العلاج الذى أعطاه لها الأطباء.

وعمل الشاه عباس - الذى رأى ابنته تعاني من العذاب - على

إحضار غريب الذى كانت مدة نفيه قد انتهت، وساعده على العودة إلى الوطن. ولكن جاءت المساعدة متأخرة جداً، لأن عيون غريب الذى كان يمضى يومه بالبكاء قد فقدت الإبصار، ولهذا السبب فقد سقط فى بئر ومات ~~مُتَنَقِّاً~~، وجاءت شاه سنم التى علمت بهذا الخبر إلى المنطقة التى مات بها غريب، وانتحرت بإلقاء نفسها فى البئر.

وبالرغم من أن المؤلف المسمى «غريب وشاه سنم» قريب من المؤلفات الفولكلورية بإعتبار المفهوم والمحاكاة، إلا أنه مؤلف أدبي مكتوب، لأن المؤلف كتب بطريقة واقعية جداً، وليست به المبالغة التى تخص المؤلفات التى هي على نمط أساطير الفولكلور. وإذا كان هذا المؤلف لشمس الدين لم يُنقد بتعمق، إلا أنه يقبل على أنه مؤلف عظيم جداً فى إطار الأدب التركى الأويغورى المكتوب فى القرن التاسع عشر.

مثلوا الأدب الذين ظهروا تحت التأثير الغربى

أنجب أترك الأويغور فى القرن العشرين مؤرخين وأدباء وشعراء وروائيين مثل مسعود صبرى بايقوزى ومحمد أمين بوغرا ولطف الله مُطلب وبولات قادرى طورفانى وعبد الرحيم اوتكور وعناية الله وستار مقبول جوبان وخوير تومور وقوريان قوادى وضياء صمدى (يعيش الآن فى جمهوريات آسيا الوسطى) ونيم شهيد وإبراهيم قوريان وتورغون ألماس وأحمد ضيائى.

ولمسعود صبرى بايقوزى (كان قد أصبح واليا عاما على تركستان الشرقية فى ١٩/٥/١٩٤٧)، مسرحية تسمى «البنيت المسكينة». وتروى هذه المسرحية التى ظهرت فى تركستان الشرقية فى عام ١٩٤٨، تروى قصة حياة مؤلمة لفتاة أويغورية تغربت عن وطنها. كما أن هناك مجموعة قصصية نشرت باسم «درمة جائمة»

ولم يكن المرحوم محمد أمين بوغرا مجرد رجل دولة افتقدته أراضى تركستان الشرقية، بل كان فى نفس الوقت مؤرخاً وأديباً وشاعراً، وله مؤلف ذو قيمة كبيرة، ومكتوب بالحروف العربية ومطبوع فى مطبعة حجرية ويسمى «تاريخ تركستان الشرقية». وخلاف ذلك، فإنه بعد أن وصل إلى الهند ومن بعدها تركيا، وذلك فى الأعوام التى تلت سنة ١٩٤٩، أصبحت له كتبه ورسائله المعروفة التى كتبها.

ولأحمد ضيائى الذى أصبح روائياً ثلاثة مؤلفات تسمى «زهور لا تذبل» و «رابية وسعدين» و «فى طريق لاداق» وقد طبعوا فى مطبعة isvec فى كاشغر.

وضياء صمدى هو كاتب روائى، وله مؤلفات مثل «مايم خان» والسبتينى وسرها» وقد تُرجمت بعض مؤلفاته إلى اللغة الروسية.

ولبولات قادرى طورفانى مؤلف يسمى «تاريخ تركستان الشرقية» الذى كان قد كتبه عندما كان فى الوطن. ويروى هذا الكتاب - المكتوب بالحروف العربية - وقائع تركستان الشرقية بعد عام ١٩١١. وخلاف

ذلك فإن له كتاب صغير يسمى «تاريخ تركستان الشرقية» والذي كان قد نشره بإسم «آماج قره خوجه» بعد أن لجأ إلى الهند.

وللشاعر عبد الرحيم أوتكور مجموعة أشعار تسمى «قبائل تاريخ» وقد نشر هذا الكتاب بالحروف العربية في نانجين في ١٩٤٧.

وستار مقبول جوبان من الشعراء الترك الأويغور المميزين. وقد ترجم إلى اللهجة الأويغورية مؤلفاً لعبد الكلام لأزاد رئيس جمهورية الهند عندما كان في تركستان الشرقية. ومن أجل هذا فقد كافأه مسعود صبرى بايقوزى الوالى العام للتركستان الشرقية في عام ١٩٤٨ بإعطائه الميدالية الذهبية. وخلاف ذلك فإنه كانت له أشعار غنائية وحماسية، إلا أنها لم تنشر.

ولا شك أن لطف الله مطلب هو أحد أشهر الشعراء الذين ظهروا في تركستان الشرقية. وقد أعدم الصينيون الشاعر القومى لطف الله مطلب في مدينة كوجار بتركستان الشرقية في سنة ١٩٤٤. وقد نشر الأشعار التى كتبها أترك الأويغور الذين يعيشون فى الاتحاد السوفيتى السابق فى وقت متأخر. وقد تُرجمت هذه المجموعة من الأشعار إلى الروسية واللهجات الأخرى للغة التركية الحديثة.

القسم الثالث

الجغرافيا البشرية للتركستان الشرقية

لقد وضحت بعناية صورة رأس الذئب بالأساطير التركية، وراية الحرية وحمائم السلام في الفن الأويغوري. وخلاف ذلك فإن هذا الإيضاح يبدو أنه يحمل معنى سامياً إلى درجة بعيدة من الناحية الفنية.

مساحة تركستان الشرقية

إن مساحة تركستان الشرقية - التي أوضحنا بإختصار مكانها في آسيا الوسطى، والتي كانت مساحة لعدة أحداث تاريخية - هي مليون وثمانمائة وثمانية وعشرون ألف وأربعمائة وثمانية عشر كيلو متراً مربعاً (١,٨٢٨,٤١٨). وهي أكبر من تركيا مرتين ونصف، وأكبر من ألمانيا أربعة مرات، وأكبر من الأردن خمسة وعشرين مرة، وأكبر من باكستان خمس مرات، وأكبر من اندونيسيا مرتين، وهي تشكل خمس أراضي الصين كلها، داخل في ذلك المستعمرات الصينية الحمراء مثل التبت ومنغوليا الوسطى ومانجوريا.

ومساحة تركستان الشرقية التي تقرب من مليوني كيلو متر مربع، منها ٦٠٠,٠٠٠ كيلو متر مربع صحراء، ٩١٠,٠٠٠ كيلو متر مربع أخرى عبارة عن غابات.

● التضاريس:

تتميز تضاريس تركستان الشرقية بالأشكال الطبيعية المتضادة. ويجذب الانتباه الصحراوات والواحات والهضاب العالية بأوضح أشكالها. وتحير الإنسان الأراضي القاحلة الواسعة من ناحية، ومن ناحية أخرى

الأراضي المشجرة المثمرة. وهي مغطاة بسلاسل جبلية عالية وغابات وأماكن جليدية وصخور. وتنحدر هذه الجبال من الشرق إلى الغرب، وتستمر من شمال وجنوب تركستان الشرقية في اتجاه الغرب.

وتقسم جبال طانرى - التى تمتد من هضبة البامير فى الغرب إلى الصين، وتقسم تركستان الشرقية إلى منطقة تاريم ومنطقة جونغاريا. ويبلغ ارتفاع جبال طانرى نحو ٤٠٠٠ متر، ويبلغ ارتفاع هضبة خان طانرى هى أعلى هضبة فى هذه الجبال، يبلغ ٧٤٣٩ متراً، وتساعد المراعى الواسعة فى سفوح هذه الجبال على تربية الحيوانات بعدد كبير.

● منطقة تاريم:

وهى تقع بين جبال طانرى وجبال كىلون (جبال الظلمة)، ومساحتها ٩,١٠٠,٠٠٠ كيلو متر مربع، ومنطقة تاريم على شكل القطع الناقص وتقع فى جنوبها جبال الظلمة، كما تقع فى الجنوب الغربى منها منطقة قره قوروم، وهنا توجد صحراء تكلامكان الشهيرة. وتغطى هذه الصحراء ٥,٠٠٠,٠٠٠ كيلو متراً من مساحة منطقة تاريم التى تبلغ ٩,١٠٠,٠٠٠ كيلو متراً، أما المساحة التى تبلغ ٤,٠٠٠,٠٠٠ كيلو متراً المتبقية فهى مناسبة للزراعة، ويبلغ طول المنطقة من الشرق إلى الغرب ١٠٠٠ كيلو متراً تقريباً، أما ارتفاع المنطقة فيصل إلى ١٣٠٠ كيلو متراً فى أجوار كاشغر. وتنخفض مدينة طورفان الموجودة فى هذه المنطقة حتى ٢٨٠ متراً عن مستوى البحر.

ومنطقة تاريم أكثر جدياً من صحراء جوبي، والمطر قليل جداً في الربيع، ويتم ري الجزء المناسب للزراعة الذى تحدثنا عنه آنفاً، من خلال نهر تاريم. وينساب نهر تاريم الذى ينبع من عدة فروع، باستقامة نحو الشرق، ويصب في بحيرة قره بوران (لوب). ويزرع في منطقة تاريم، القمح والقطن والذرة والأرز، ويتم ري الأراضي من نهر تاريم. وعلى وجه الخصوص توجد وفرة في المشمش والعنب وذلك فيما يخص الفاكهة.

● منطقة جونغاريا:

إن منطقة جونغاريا هي المنطقة الواقعة بين جبال طانرى وجبال الآلتاى. وهي تبرز المنطقة الشمالية من تركستان الشرقية، وهذه المنطقة بها نتؤات قليلة، والجزء الأوسط من المنطقة صحراوى. وخلاف القسم الأوسط الصحراوى فهي عبارة عن منطقة رعوية على وجه العموم. فلهذا فإنها معبر ومقام البدو المرتحلين من وقت إلى آخر. وتوجد في القسم الجنوبي منها منطقة إرواء شاسعة.

وعمر من هذه المنطقة أحد طرق تركستان التى تربط بلدان الشرق الأقصى بالغرب. ويوجد بالقطر خط سكة حديد واحد في منطقة جونغاريا التى توجد بها مدينة أوروجى حاضرة تركستان الشرقية.

● الأنهار والبحيرات:

إن أهم نهر بتركستان الشرقية هو نهر تاريم، وهو ينبع من الهضاب

العلوية الواقعة شرق جبال قره قوروم. ويشكل نهر تاريم حداً على مسافة قصيرة بين تركستان الشرقية وبين كشمير، وهو يجري نحو الشرق ويصب في بحيرة لوب. ويشكل نهر تاريم الذى يبلغ طوله ١٦٠٠ كيلو متراً من اتحاد ستة أفرع. وأهمها فروع الأنهار مثل فرع كاشغر الذى يأتى من الغرب، وفرع ياركند الذى يأتى من الجنوب الغربى وفرع خوتن الذى يأتى من الجنوب، والفرع الذى يأتى من الشمال الغربى. وفي نفس الوقت توجد واحات ومدن تحمل نفس الاسم على هذه الفروع.

ويوجد نهر أولونجير في أقصى الشرق من القطر بعد نهر تاريم. أما نهر قره إرتش وأولونجير فهى الأنهار الرئيسية لمنطقة جونغاريا.

توجد ثلاث بحيرات بتركستان الشرقية تستحق الذكر، وهى بحيرة باغراج في جنوب جبال طانرى، وبحيرة لوب في الجنوب الشرقى منها، وخلاف ذلك بحيرة «آيى» وهى أكبر بحيرة بمنطقة جونغاريا.

وتغذى الأنهار والبحيرات والمناطق الثلجية بالأمطار التى تمطر في الربيع.

● المناخ:

يسود المناخ القاري (شديد الحرارة صيفا وشديد البرودة شتاء) على وجه العموم في كل أرجاء تركستان، ويمضى النهار حاراً، والليالى رطبة، ويكون الصيف حاراً جداً، وكذلك يكون الشتاء بارداً جداً، وتتجمد

الأنهار في الشتاء، وتغطي المساحات الرملية بالثلوج.

وباستثناء بلدة طورفان، فإن درجة الحرارة في تركستان الشرقية تقريباً ثلاثون درجة. وستة عشر درجة تقريباً في الشتاء ويكون الجو بارداً في الشمال أكثر منه في الجنوب.

ونظراً لأن المناخ جاف، فإن الأمطار قليلة، والأمطار التي تنزل على المتر المربع تبلغ من ١٥٠ إلى ٣٠٠ مليلتر في الشمال، أما في الجنوب فتبلغ ١٠٠ مليلتر تقريباً.

تعداد أترك الأويغور

يأتى تعداد أترك الأويغور على رأس الموضوعات التي لا زالت مبهمه، وترد في هذا الموضوع أرقام لا تؤيد بعضها. فكل الأرقام المسجلة في العصور المانجو صينية، والصينية القومية، والصين الشيوعية هي أرقام تقريبية وبالتأكيد فإن لهذا أسبابه، إن محاولة الحكومة الصينية إظهار قلة تعداد السكان حتى لا تعطيتهم أدنى حقوقهم التي تأخذها أقل الشعوب التي في قبضتهم، تشكل أحد الأسباب الرئيسية، وكذلك فإن تركستان الشرقية تعتبر مستعمرة صينية لما يزيد عن قرنين. وقام أترك الأويغور بالثورة بدرجات متفاوتة ضد الحكومة الصينية خلال هذه الفترة أكثر من أربعمئة مرة. وكان الصينيون قد قضاوا على هذه الثورات بشكل دموى،

وكأنهم لم يكونوا يكتفون بالقضاء على المشتركين في هذه الثورات بل كانوا يقومون بقتل أفراد العائلة وسكان المدينة التي تظهر فيها الثورة، وعلى سبيل المثال فقد قتلت قوات الاحتلال المانجو صينية - التي دخلت تركستان الصينية عام ١٧٦٠ - قتلت أكثر من مليون شخص الغالبية العظمى منهم من أتراك الأويغور. وفي عام ١٨٧٧ قتل القائد المانجو صيني زو - زونج تانج ستمائة ألف تركي أويغوري لم يكن لهم أي ذنب بعد أن قضى على ثورة في آلتى شهر (المدين الستة)^(١)، واضطر أكثر من ٥٠٠ ألف تركي أويغوري خافوا من ثأر الغزاة - أن يلجأوا إلى الدول المجاورة. وحدث نفس الوضع في عهد الصين القومية، وفي الفترة التي كان فيها القائد شينج شى ساي حاكماً عاماً في تركستان الشرقية (١٩٣٤-١٩٤٤) تم إعدام أكثر من ٣٠٠ ألف في حشرات الغاز. أما في عهد الصين الشيوعية فقد قُتل ٣٦٠ ألف شخص، وصار أكثر المقتولين هم أتراك الأويغور الذين يشكلون ٨٢٪ من سكان تركستان الشرقية. ولهذا فقد اتبع الإمبرياليون الصينيون طريقة إخفاء وتحريف الأعداد الحقيقية لأتراك الأويغور من أجل إخفاء جرائمهم عن الرأي العام العالمي.

وبالرغم من كل حركات القتل هذه فإن تعداد أتراك الأويغور يرد على أنه يبلغ ٣,٨٥٠,٠٠٠ ، وذلك في الكتاب السلومي الأوربي،

(١) آلتى شهر: تعني المدين الستة الكبرى في جنوب تركستان الشرقية وهي: قرا شهر، كورلا، آقسو، آرتوش، كاشغر، خوتن.

الجزء الثاني في صفحة ٣٩٣، المنشور في سنة ١٩٦١. وإذا نظرنا إلى تقرير إذاعة أوروبجي بتاريخ ١٩٦٧/٤/٢٨ فيبلغ تعداد أترك الأويغور ٣,٦٤٠,٠٠٠ عام ١٩٥٣، أما في عام ١٩٦٧ فيبلغ ٤,٩٤٣,٠٠٠، وتدعى الصحافة السوفيتية أن تعداد سكان أترك الأويغور يزيد على خمسة ملايين. وتذكر الجريدة السويسرية المسماة:

Zeitung Zuricher Neue في عددها الصادر بتاريخ ١٩٧٥/١٠/٢٨ أن تعداد السكان العام بتركستان الشرقية يُظن أنه ١٠,٠٠٠,٠٠٠ شخص، وأن أترك الأويغور يبلغون ٥,٥٠٠,٠٠٠ ملايين نسمة.

القسم الرابع

اللغة والثقافة والفن عند الأويغور



لغة الأويغور

يتحدث أترك الأويغور بلهجة «الخاقانية» التي تحمل الطابع التركي لمجموعة اللغات الألتائية. ويدرس اللغويون اللغات التركية - طبقاً للمعلومات المتحصلة حتى اليوم - كما يلي:

١- عصر اللغة التركية الأم:

وكانت هذه اللغة تستخدم في الأعوام التي تقترب من عهد ميلاد السيد المسيح عليه السلام، وخصائصها الصوتية الطويلة، ووجود حرف الهاء أمام الكلمة.

٢- عصر اللغة التركية القديمة:

ويستمر بدءاً من القرن السادس الميلادي وحتى أواسط القرن التاسع، وتدخل في هذا القسم نصوص الكوك تورك والنصوص الأويغورية المبكرة المكتوبة بالحفر.

٣- عصر اللغة التركية الوسيط:

وتشمل القرون من التاسع إلى الخامس عشر، وتدخل في هذا

القسم مؤلفات العصر الذهبي للأدب الأويغوري. وقد ظهرت في هذا العصر المؤلفات المسماة قوتادغو بيليك ليوسف خاص حاجب، وديوان لغات الترك لمحمود الكاشغري.

٤ - عصر اللغة التركية الحديثة:

وهو القسم الذى يبدأ من القرن السادس عشر ويستمر حتى زماننا هذا. وطبقاً لهذه العصور فإن الأستاذ أ. فون جاباين يقسم اللغة الأويغورية إلى قسمين: الأول منهما «ذو حرف N» أما الآخر فهو «ذو حرف Y» فمثلاً «آنيغ» بها حرف «ن» أما الأخرى «آييغ» فيها حرف «ى» وتصادف اللهجة المقرونة بـ «ن» أكثر في الكتابات الرونية مع بقايا اللغة المانية. وقد أصبح هؤلاء الأويغور أصحاب الدولة الشرقية في منغوليا مباشرة. وقد نقلوا اللغة الأويغورية القديمة التى كانوا يستخدمونها من هناك إلى الدولة الأويغورية الأكثر اتساعاً فى منطقة تاريم. أما اللهجة البوذية فيما قبل الأويغور فى منطقة تاريم قد استخدموها فى الأصل. وقد أصبحت اللهجة المقرونة بالياء هذه هى السائدة بعد تشكل الثقافة الأويغورية الحالية.

الكتابة الأويغورية

ينبغي أن ندرس خط الأتراك الأويغور على ثلاث مراحل:

١- استخدمت الكتابة الأورخونية - في الفترة التي عاش فيها أترك الأويغور بجوار أوردوس وأورخون وسلانكا (القرن السادس والسابع) واستخدموا هذا الخط بعد انهيار الامبراطورية الأويغورية وبعد مجيئهم إلى أراضي تركستان الشرقية على هيئة قوافل كبيرة بعد أن استوطنوا فيها، وذلك في العصور التالية.

ولقد درس هذا الخط لأول مرة العالم الروسى يادرنيسوف في سنة ١٨٨٩ خلال الأبحاث التي قام بها بجوار أورخون ونيس وقد اكتشف نفس الخط في الألتاي وجنوب قازاقستان وتركستان الشرقية (إيلي - خوتن - كوما) وبجوار أراضي الياقوت، وكان هذا الخط يكتب في العهود الأولى من اليمين إلى اليسار، ثم في العهود المتأخرة من أعلى إلى أسفل مثل الكتابات الصينية.

٢- خط أورخون - لقد هاجر أترك الأويغور في هيئة قوافل داخل أراضي تركستان الشرقية، وبعد أن استقروا بفترة بدأوا يستخدمون هذه الكتابة (القرن السابع - القرن التاسع).

وبدأ أترك الأويغور أساساً، بعد اكتشاف هذا الخط في خلق أروع ثقافتهم داخل أراضي تركستان الشرقية. وقد استخدمت هذا الخط أيضاً أقوام تركية أخرى، وقبل هذا الخط أيضاً المغول والمانجو، وكانت كل أمور الدولة تكتب بهذا الخط في امبراطورية جنكيز، ولقد كتب كويوك خان كل مكاتباته مع البابا بالخط الأويغوري أيضاً. وكتب يوسف خاص

حاجب مؤلفه المسمى قوتادغو بيليك بهذا الخط، وقد استمر أترك الأويغور وبعض القبائل التركية في استخدام هذا الخط فترة طويلة أيضاً بعد اعتناق الإسلام.

وعلى سبيل المثال فقد أمر السلطان محمد الفاتح بكتابة أحد الأوامر بهذا الخط في القرن الخامس عشر. وهذا الخط عبارة عن ثمانية عشر حرفاً، وعلى سبيل المثال فإنه يعبر عن حروف مثل "F-P,b" بإشارة واحدة فقط. وتدخل الحروف في بداية الكلمة وفي آخرها وأوسطها في أشكال مختلفة عن بعضها. ويكتب هذا الخط أيضاً مثل الكتابة العربية من اليمين إلى اليسار.

٣- الخط العربي:

اقتبس أترك الأويغور الخط العربي بعد أن اعتنقوا الدين الإسلامي ٩٣٢-٩٧٦، وقد كتب اللغويون والشعراء والأدباء مثل محمود الكاشغري وأحمد يوكنكي وبلال ناظم وكل الكتاب الذين جاءوا بعدهم، كتبوا مؤلفاتهم بالخط العربي.

الدين عند أترك الأويغور

آمن أترك الأويغور بالديانات البوذية والمانية وذلك بعد ديانة كوك

طائرى التى كانت دين الأتراك القدماء، حتى اعتنقوا الديانة الإسلامية ويرجع لقاء الترك مع دين بوذا إلى القرن الثانى قبل الميلاد، وبينما كانت الديانة البوذية تنتشر بين أقوام الهون وأقوام الكوك ترك فإنه كان ينتشر أيضاً بين الأويغور. ويعتقد أن مدناً ومراكز مثل باي وكوجار وطورفان وقره شهر ولوب نور وكريا وثية وميران ولولن (كرورن) قد أصبحت مراكز للدين البوذى. ولقد أمر حاكم أترك الأويغور كول بيلكة ٦٨٥-٧١٢م بإنشاء معبد كبير من أجل بوذا فى «باي» (فى زنكين أو فى زنكين شهر).

واعتنق أترك الأويغور الديانة المانية بعد سنة ٧٦٢م، وكان بوغو قاغان الذى ذهب إلى وسط الصين فى هذا التاريخ، قد التقى بالرهبان الصغديين هنا، وبعد أن تعلم بوغوقاغان الديانة المانية جيداً وأخذ فى معيته أربعة من الرهبان الصغديين.

وبعد أن رجع إلى مدينة قره بلا ساغون بمدة، أصدر الأوامر اللازمة من أجل اعتناق هذا الدين ديناً رسمياً للدولة. وكان بوغو قاغان يتمنى لأترك الأويغور أن يتركوا دين بوذا ويعتنقوا الديانة المانية جميعاً.

وذلك لأنه كان يريد أن ينقذ شعبه من تأثير الصينيين الذين كانوا يعتنقون نفس الدين. ولكن انتشرت الديانة البوذية مرة أخرى بين أترك الأويغور مع قتل بوغوقاغان نتيجة حادثة فى سنة ٧٧٩.

وإذا كان أترك الأويغور قد اعتنقوا ديانات متعددة كثيرة إلا أنهم

قد آمنوا بالإله الواحد خالق الكائنات. ومن المعروف أنه قد استخدمت بين أتراك الأويغور جمل وتعبيرات مثل الإله واحد و«ونخلق الإله» و «إذا أراد الإله» وهذا يشير إلى أن أتراك الأويغور قد عاشوا حياة قريبة جداً من الإسلام.

وكان أتراك الأويغور قد بدأوا يعتنقون الإسلام اعتباراً من سنة ٩٣٤ ميلادية، و٣٢٣ هجرية. وقد اعتنق الإسلام في البداية ساتوق بوغراخان الحاكم التركي الأويغوري. وقد اعتنق الإسلام كل أتراك الأويغور بصورة متدرجة في عهد حكام مثل: ساتوق بوغراخان وموسى بوغراخان الذي جاء بعده وهارون بوغراخان، وبدأوا يدخلون في إطار ثقافي جديد.

الفن والعمارة

١- التصوير :

كانت التصاوير الجدارية أحد الفنون الرئيسية لأتراك الأويغور، وكان أتراك الأويغور - مثلما كان في القبائل التركية التي جاءت قبلهم - قد اهتموا بفن التصوير Lack الملتصق على القماش الكتاني، وفن التصوير بشمع العسل المنفذ على الخشب المقطى بالحصص، ومن التذهيب على الورق والحزير، وفن التصوير المنفذ على الخيش، وتصاوير الكتب، وفن الطباعة على الخشب. ومع ظهور أتراك الأويغور، فقد ظهر أسلوب

وفن وتغير فجأة في فن التصوير التركي، واستمر هذا التيار الجديد لأتراك الأويغور من سنة ٦٠٤ حتى سنة ١٢٥٠ ولقد كان تأثير أتراك الأويغور في هذا التيار الجديد عظيماً باعتبارهم قبيلة تركية أظهرت تقارباً كبيراً مع الثقافة الشرقية. وعندما وصل إلى مستوى «مدرسة» مستقلة بالخصائص القومية والمحلية في دنيا الترك الغربيين التي استمر فيها التأثير الهيليني والصغدِي والهندي عبر تأثير الشرق الأقصى عن نفسه سواء في التصوير التركي وسواء من الناحية الفكرية وذلك بواسطة الأويغور.

وإذا كان أتراك الأويغور في القرن السابع على وجه الخصوص قد تمكنوا من التعرف عن قرب على فن عهد أسرة تانج^(١) الحاكمة التي كانت قد ظهرت حديثاً، إلا أنهم قد عبروا عن تمكنهم من أن يدعوا - بأصالة - فنون التصوير الخاصة بهم سواء من ناحية الموضوع، وسواء من ناحية الأسلوب ويوجد في هذه التصاوير على سبيل المثال فارس يلقي بسهم إلى الراء، والخطوط الجميلة للفن الصيني إلى جانب تصاوير الجنة، وألوان celeingen وأشكال زخرفية لموضوعات. والخلاصة أننا - من هذه الوجهة يجب أن نربط الفن بالدقة وبمكانة الفن الصيني الذي يتجه نحو الجمال وبتقاليد الترك البرية الجميلة. وهكذا فإننا حتى إذا ربطنا البداية في فن التصوير بالقبائل التركية الأخرى، فإن الأويغور قد عملوا على إحياء فنون كثيرة جداً طوال مئات السنين، وأوصلوها إلى أعلى درجاتها وحتى أنها لم تبتعد عن صفة الكاريكاتورية.

(١) أسرة تانج أسرة صينية حكمت الصين في الفترة من (٦١٨م - ٩٠٧م)

وتتعلق التصاوير الجدارية لأتراك الأويغور بالنصوص الدينية المانية والبوذية على وجه العموم. وتروى في الرسوم الجدارية التي بالمعابد رحلات الرهبان الأصليين وأحداثها، وتحكى أحد التصاوير الجدارية في معبد «مينغ أوى» (ألف مسكن) وفاة أحد الرهبان الأصليين، ومن حوله الرهبان الذين يقومون بالحداد، وكذلك تلامذته. ويحكى اصطفااف الأشكال في صف واحد منتظم، ووقوفها منتصبة تحكى نظام العصر التركي، ويظهر في التصاوير الزيتية الرجال الذين يريدون أن يصوروا أنفسهم، وكذلك صور الأمراء الأويغور بشكل واقعي جداً. وتصاوير الأفيال التي تتخذ مكانها في التصاوير الجدارية كثيرة. والفيل رمز للبيئة الطيبة والقلب النظيف والصداقة. وقد تم التعبير عن سوء الفهم بين الفيل والملك في أحد هذه التصاوير، وقد فضل أتراك الأويغور - من ناحية الألوان - البراقة وخاصة الأزرق الداكن والأحمر.

ولم يستخدم فنانو الأويغور القلم من أجل أعمال الكتابة، ويروى محمود الكشغري أن أتراك الأويغور قد قطعوا الأقلام من الشجر على عكس الصينيين. ولم يكن الزيت يفرد في صورة معجون، بل كانت توضع في صورة بحوار صورة.

إن وحدة الفيل الذي تتخذ مكانة بين التصاوير الجدارية هي رمز الفئة الطيبة والقلب النظيف والصداقة. وقد صنع تمثال الفيل الذي اكتشف في «صورجوق» لنفس السبب.

وكان بوذا يتم إظهاره بطلاء خفيف، والشخص المهم أيضاً كان يتم إظهاره بالظلال على وجهه.

وعندما نصل إلى تصاوير الكتب، فإن النصوص البوذية كانت بالأويغورية، وكان فن التصوير وفن التصوير الجداري هو نفسه.. وكان يغطي بطلاء شفاف فوق الكتابات المكتوبة بالحبر الأسود والأحمر. وكانت الأسطح المذهبة تميز بالحبر الأسود والأحمر. ولم يكن هناك فرق بين فن الكتاب الماني والفن البوذي. وكان يغلب على تصاوير الكتب الأسلوب والتكنيك الموجود في التصاوير الجدارية بـ «قوجو» (الإديقوت). ومن ناحية الأسلوب كان الكل يعتمد على التقاليد. وفي الأزمنة القديمة بينما كان يفسح المكان للضوء وتضاد الظلال، إلا أنه فيما بعد كان التكنيك يُظهر تقدماً تصويرياً.

والأوراق كانت معدات الكتابة المستخدمة من أجل الأرشيف، وكان الترك الأويغور يعرفون استخدام الورق أيضاً قبل الأوربيين، وقد تبتت حتى زماننا هذا مواد أرشيفية أويغورية كثيرة جداً.

توجد من بينها موضوعات قليلة هامة مثل تأجير حديقة صغيرة، ومثلما كانت مجموعات كبيرة تعرف الكتابة، فقد كانت الأكثرية أيضاً تعرف التعبيرات القانونية المستخدمة. وطبقاً لما يذكره فون لو كوك» فقد كان الأويغور قياساً بأوروبا في ذلك العهد متفوقين جداً في هذا المجال. بينما يرى كم قائد قلعة أوربية كان يعرف الخط ويتمكن من أن يعقد

اتفاقية بتعبيرات قانونية مناسبة، فإن القروى لدى الأويغور والعامة كانوا يستطيعون ذلك.

أما البنود والقوانين القضائية فقد كانوا يعرفون إجراءاتها القانونية التي تطورت بدرجة عالية وخضعت للنظام جيداً.

واتبع فن طباعة الكتب التي كانت وسيلة ثانية عظيمة لانتشار الثقافة اتبع نفس السبيل مع شئ قليل من الإبطاء. ولم يكن مخترع المطبعة هو جوتنبرج أو كوستز بل كانوا مطوريها فقط. وكان أترك الأويغور يعرفون المطبعة منذ قرون.

وكان فن صناعة الخزف في مدن تورفان وكاشغر وخوتن بتركستان الشرقية قد تطور جداً وكان الفخار يطلّى، وتنفذ عليه كل أنواع الزخارف وكان أكبر هذه الفخاريات التي تنفذ في شكل جرة قد استخدم كتور، وكان أترك الأويغور قد بدأوا يطهون خبزهم في تلك التناير (الأواني).

وكان أترك الأويغور اعتباراً من القرن الأول الميلادي يذيون النحاس والحديد والفحم والفضة والذهب ويعرفون تشكيلها.

وقد اكتشفت مواقع معدنية مصنوعة من أجل صهر الحديد في خرائب شمال ناحية «نيّة» وجنوب ناحية بوتاي ولوب، وذلك خلال الأبحاث التي تمت في صحراء تكلامكان في عام ١٩٥٩. أما في كوجار فقد اكتشفت أوانٍ كبيرة صنعت من أجل صهر النحاس والفضة

وطبقاً للمعلومات التي أمدنا بها جغرافيو الصين على عهد أسرة «وي» الحاكمة فإنهم يروون لنا أنهم كانوا يشعلون النار في الليل في شمال مدينة كوجار بحوالى ٢٠٠ كيلو متر، وأنها كانت تصبح فحماً، وطبقاً لهذه المعلومات فإن ستة وثلاثين خانية كانت تستفيد من هذا الفحم. وطبقاً لهذه المعلومات فإن أتراك الأويغور كانوا يعرفون تشغيل الفحم اعتباراً من سنة ٣٣٤م. وكانوا يذيبون المعادن الأخرى بناره، وكانوا يصنعون معدات مثل الأسلحة، والمطرقة، والجاروف، والبلطة، والفأس. وكان أتراك الأويغور حتى العهود المتأخرة ماهرين في أعمال الحدادة والنحاس وتشكيل الذهب.

ومع تقدم أعمال الحدادة فقد ارتقى فن الزراعة والرى لدى أتراك الأويغور، وكان أتراك الأويغور يعرفون حفر القنوات في القرن الثانى الميلادى. وكنتيجة لهذا فقد تقدم فن حفر القنوات في تركستان الشرقية، وكان أتراك الأويغور في تلك العهود يعرفون زراعة القمح والذرة والقطن والفاكهة والخضروات، وعلى سبيل المثال فقد صودفت داخل الجرار المكتشفة في خرائب بوتاي أيضاً حبوب للقمح والذرة والكتان وأقمشة أطلس (نوع من النسيج القماش) وحريرية. وكانت مدينة خوتن متقدمة جداً في أعمال نسج القماش، وخلاف ذلك فقد تطورت أيضاً صناعة الحصير والسجاد لدى أتراك الأويغور (انظر الأستاذ أ. فون جاباين:

A. von Gabain, Das leben in vigurischen konigreich von koco
850—1250, viesbaden 1973.

ب: التماثيل :

تظهر التماثيل في آسيا الوسطى على وجه العموم خمسة أساليب
هى أسلوب جندهارا وأسلوب طوخار وأسلوب الترك الغربيين والأسلوب
الأويغورى المبكر ثم الأسلوب الأويغورى.

ظهرت في البداية تماثيل بحجم الشخص العادى ثم تركت مكانها
بالتدريج للتماثيل النصفية (أى التى تمثل النصف الأعلى من الجسم
البشرى) والتى كانت تبلغ عشرة أمتار. وشيد أترك الأويغور النماذج
المتعلقة بفن التماثيل في مدن ونواحي مثل كوجار وخوتن ونِيَه وأقترك.
ويغلب أسلوب جندهارا على التماثيل الموجودة في دائرة كوجار فقد
أصبحت آثاراً فنية تقرب من الصور الشخصية وتبدى خصائصها
القديمه.

ج- العمارة :

تنقسم فنون البناء في الحياة المستقرة في آسيا الوسطى إلى ثلاثة
أقسام، المباني التى طراز حجراتها يذكرنا بالخيمة والمرتبطة بالفرسان
الرُّحَل، والمباني المرتبطة بالعمارة الهندسية والبوذية والصينية، ثم المقامة
على النمط الصينى فقط.

ويحتل الموقد مكانة هامة بين العناصر المعمارية، كانت أجزاء المباني
أى الحجرات والغرف تشيد على طراز الخيمة وفي خطة مستديرة ومربعة،

كما كانت ذات إطار عال ومقبية. وكان يطلق إسم باليق على المدن المحاطة بسور في تلك الفترة. أما المباني الرئيسية التي كانت تزين المدن فكانت هي القصور والأديرة.

وكانت المدينة الأويغورية أى الباليق تحاط بخنادق من سبع طوابق كما كانت تحاط بسور في ثلاث طوابق. وتحمل القلعة الداخلية إسم غطاء الجيش. وكان قصر الحاكم يوجد في هذا المكان. وكانت المعابد والأديرة تشيد بأسلوب متناسب مع عمارة القصر. وقد شيدت أيضاً على سد عال محاط بالجدران، وكان المبنى الذى يوجد به تمثال بوذا أو تماثيل الرب في الوسط، فقد كانت تصطف حجرات الرهبان حول السور، ومن المعتقد أن معبد «منج اوى» (ألف مسكن) واحد من الآثار المعمارية الفريدة لأتراك الأويغور.

المسرح :

يمتد تاريخ المسرح لدى أتراك الأويغور حتى القرن الأول الميلادى، وقد وردت معلومات غزيرة عن فن المسرح لدى أتراك الأويغور في الأنماط المنفذة بالحفر على الجبال بجوار قورغاس وتكس، وكذلك في الوثائق المتحصلة نتيجة الحفريات التي تمت حول تورفان وخوتن ولوب نور، وفي التصاوير الجدارية المنفذة على معبد «منج اوى» (ألف منزل)، وخلاف ذلك فقد ذكر في المؤلف المسمى «خوتن القديمة» Hotenskie Drevnost الذى كان قد ألفه ن. ف. دياقونوفا و س.س. سوروكين

وهما من العلماء السوفيت أن القصور التي كانت عبارة عن سقف مقام على أربعة أعمدة في تربة من الطين، خلال الأبحاث التي تمت بجوار خوتن لم تستطع عناصرها المعمارية المشاهدة لدى أترك الأويغور أن تبتعد عن التأثير الصيني من ناحية والتأثير الهندي البوذي من ناحية أخرى، فمثلاً كان عنصر العقود المستخدمة، على شكل حدوة الفرس في ضرار جندهارا، أما العمود فكان يبنى قصيراً وعلى قاعدة تتخذ شكل زهرة اللوتس الموجودة في العمارة الصينية والهندية. وقد تطور هذا العنصر على يد أترك الأويغور، وقد وصل مع الوقت إلى شكل دقيق وطويل وجميل. وكان معظم الأعمدة الأويغورية يبنى من الشجر، وكان يزخرف بالزيت والتذهيب، أما زخارف السقف فيسجلون أنها نفذت من الجص في شكل تاج محاطة أطرافه بوحدات من زهرة اللوتس، وأنه كانت هناك أشكال لفنانينهم وهي مكان مخصص لملايس القروي، وأنها الآن مخبأة في متحف الدولة للآثار بلننجراد.

لقد تطور المسرح البدائي الذي كان موجوداً في العهود الأولى للأويغور الأترك منذ إبتدائهم التعرف على دين بوذا وحتى في العهود التالية وقد وجدوا رواجاً. وكان المبشرون يعرضونه للشعب عن طريق مسرحه الطقوس الدينية في العهود الأولى من أجل نشر الدين البوذي. وفي النهاية فقد تمثل الرهبان البوذيون الأويغوريون الأترك هذه الأصول. والنتيجة أنه قد ظهر فن مسرحي جديد أي «المسرح الأسطوري» مع التقاء فن المسرح البدائي القومي لهم مع فن المسرح الديني.

ولقد تكلم الرحالة الذين ذهبوا إلى وطن أترك الأويغور في العهد القديمة تكلموا عن فن المسرح التركى الأويغورى فى مذكراتهم بشئ من الإطراء وعلى سبيل المثال يمدنا الرحالة الصين سىو أن جانج الذى مر من كوجار إلى الهند فى عام ٦٣٠، بمعلومات قيمة تتعلق بالمسرح الأويغورى فى كتابه المسمى «مذكرات عن المنطقة الواقعة غرب سلالة تانج العظمى» - وخلاف ذلك، فإنه من المعروف أن الموسيقيين الأتراك الأويغور فى عصر أسرة تانج (٦١٨-٩٠٧) وفرقهم المسرحية القومية وفنانينهم المسرحيين قد أدوا حفلات موسيقية ومثلوا مسرحيات فى القصور الصينية.

ولقد عبر فن المسرح لدى الأتراك الأويغور عن تطور فى المحيط الإسلامى. ولقد حوّل كتاب مثل ضيا حمدى وأحمد ضيائى ولطف الله مطلب ومسعود صبرى بايقوزى، أعمالاً تراجيدية ودرامية وكوميديّة وموسيقية مثل «غريب وشاه سنم» و«فرهاد وشيرين» و«طاهر وزهرة» و«ليلى والمجنون» و«وامق وعذرا» و«مسعود ودلارا» و«ناظوغوم وراية وسعدين» و«الجبل الدامى» و«البنت المسكينة» و«آرشيى مال آلان» و«سونكن يول طرزلر» و«صامصاق آكام قاينايدو» و«آنارخان» التى كتبها أسماء شرقية عظيمة وأدباء أترك أويغور، حولوها إلى مسرحيات.

وكانت توجد ثلاثة مسارح فى أوروبجى حتى سنة ١٩٤٩، وكان يوجد مسرح واحد لكل مدينة ومركز آخر للتركستان الشرقية، وكان لكل مدينة وناحية فنانوها، وكانت المسرحية المعروضة فى أوروبجى تعرض

على مسارح المدن والنواحي الأخرى في مدة قصيرة. وعلى سبيل المثال، بعد أن شاهد كاتب هذه السطور مسرحية «طاهر وزهرة» التي عرضت على المسرح في أوروبجي، بعد أن شاهدها بخمسة عشر يوماً، رآها أيضاً في «ينكي حصار» التي هي ضمن نواحي كاشغر، وكان في «ينكي حصار» مسرح يمكن أن يتسع لثلاثمائة شخص. وعلى الأرجح كان يوجد بكاشغر مسرح دائري (دوار) يمكن أن يتسع لألف شخص. وإذا كان يتم تغيير الديكور خلال الفصل الواحد فإن المسرح كان يدور بمساعدة pedal سفلى ويدخل الممثلون الذين اتخذوا أماكنهم من أماكن جانبية بالمسرح ويستمررون في أدوارهم دون إضاعة للوقت. ونتيجة للدوران فإن الفنانين الذين يزيغون إلى أماكن جانبية بالمسرح يكونون قد قاموا بالاستعدادات من أجل المناظر الأخرى دون تغيير للديكورات. وهكذا يكون الوقت لم يضيّع كما أنه يكون قد قدّم ديكور أكثر ثراء للمتفرجين.

الصحافة والنشر:

لقد ذكرنا في كلامنا من قبل أن معلومات أتراك الأويغور عن الورق والمطابع والنشر كانت قديمة جداً. ولكن أتراك الأويغور حرموا من هذه الإمكانيات في العصر المانجو صيني والصين القومي وعصر الصين الشيوعية.

وكانت «جريدة ولاية إيلي» هي أول جريدة تصدر بمفهوم حديث في تركستان الشرقية. وكان الصينيون قد أغلقوا هذه الجريدة اليومية التي

أصدرها عبد القيوم حفظى سنة ١٩١٠، أغلقوها عام ١٩١١ بعد عددها الرابع والسبعين.

وبعد ثمانية أعوام من إغلاق هذه الجريدة بدأت أسرتا حسين وفاضل يونس مرة أخرى في إصدار جريدة تسمى «الكلمة الحرة» في عام ١٩١٩ في «إيلي». وقد أغلقها الصينيون أيضاً في عام ١٩٢١.

وبعد أن أعلنت جمهورية تركستان الشرقية المستقلة في تركستان الشرقية بُدئ في إصدار جريدة «الحياة الجديدة» في كاشغر. وكان يقوم برئاسة تحرير هذه الجريدة قوتلوق شوقى من القوميين. واستمرت جريدة «الحياة الجديدة» في الصدور فترة طويلة بعد انخيار جمهورية تركستان الشرقية المستقلة، وإذا كانت قد صدرت صحيفة تسمى "Bizim Tavas" في مدينة جوكجك بتركستان الشرقية في نفس الأعوام، وجريدة «أخبار آقصو» في آقصو، و«نهر إيلي» في إيلي عام ١٩٣٤، وصحيفة «شنجيانج الجديدة» من قبل جمعية أويغورية تركية في أوروبجي عام ١٩٣٥، إلا أن الحكومة الصينية قد أغلقتها جميعاً. وقد سمح بصدور الجريدة المسماة «شنجيانج» الذى كان رئيس تحريرها عضواً رسمياً في حكومة شينج شى شاي في هذا العهد، وكان يتم إرسال هذه الجريدة إلى الولايات الأخرى بتركستان الشرقية.

واضطر الصينيون في عهد ماو بعد ثورة ١٩٤٤ إلى إعطاء جزء من المختارية (حق الاختيار) إلى شعب تركستان الشرقية، وبدأ القوميون

الذين استفادوا من ذلك في إصدار الجريدة المسماة «تركستان الشرقية»
الجرة في «إيلي» وبعد أن اضطر ثوار إيلي إلى الاتفاق مع الصين القومية،
استمرت هذه الجريدة في الصدور باسم «ثورة تركستان الشرقية».

أما في سنة ١٩٤٦ بدأت جريدة «أرك» في الصدور تحت إدارة
عيسى يوسف آلب تكين ورئاسة تحرير المرحوم م. أمين بوغرا، واستمرت
هذه الجريدة في نشراتها حتى سنة ١٩٤٩ أى حتى غزو الصين الحمراء.

وقد أصدر قوربان قويداد الذى تخرج من مدرسة المعلمين بتركيا
في نفس الأعوام الجرائد المسماة «يالقين» و«الحياة القومية» و«خلق
آذارى» و«الصراع» و«الحكمة» وأيضاً كانت توجد مجلة تسمى
«حضارة شنجيانج» المصورة التى أصدرها مكتب استعلامات حكومة
تركستان الشرقية وكانت تحت إدارة المرحوم محمد أمين بوغرا بك في نفس
الأعوام. وكانت هذه المجلة تصدر بالأويغورية والإنجليزية والصينية.

التعليم:

تستطيع من خلال الأمثلة التى سقناها من قبل أن نرى أن وضع
الثقافة والتعليم في العصر الإسلامى وما قبله كان متقدماً جداً لدى أتراك
الأويغور. ومن المعتقد أن مدينة كاشغر التاريخية كانت واحدة من مراكز
الثقافة والتعليم الهامة ليس فقط لدى أتراك الأويغور بين عامى ٨٤٠-
١٢١٢ بل لدى العالم التركى والإسلامى أيضاً، وكان الطلاب يأتون إلى
كاشغر بأعداد كبيرة من الدول المجاورة من أجل الدراسة وكانوا يتلقون

التعاليم الدينية من خلال كتب رجال العلم العظماء الذين أنجبهم الشرق مثل الفارابي وابن سينا وعبد الرحمن الجامي وعلي شيرنوائي، وذلك في مراكز تعليمية مثل مدرسة الخانية (الملكية) ومدرسة عيدكاه ومدرسة أوردا آلدی ومدرسة وانلق ومدرسة جاسا وسوق الفاكهة. وقدمت كتب العلماء الذين أنجبتهم الأمم الغربية والشرقية في مكتبة المسعودی في كاشغر، وسواء ترجمات هذه الكتب لفائدة الشعب.

وبعد أن دخلت تركستان الشرقية تحت الغزو المانجو صيني افتتح الصينيون مدرسة إعدادية تدرّس باللغة الصينية ومدرسة للمعلمين ومدرسة للحقوق و ١٤٨ مدرسة ابتدائية، وذلك في سنة ١٨٧٦ حتى سنة ١٩٣٣. ومجموع الطلاب الذين يدرسون في المدارس الإعدادية مائة وخمسون، أما في مدرسة المعلمين فكانوا ٢٢، وعدد التلاميذ الذين يدرسون في المدارس الابتدائية ٦,٨٢٥، أما عدد المدرسين فكان ٢٥١ مدرسا.

واعتبارا من سنة ١٩٣٣ فقد ارتفع عدد المدارس الابتدائية ٥٨٠ مدرسة، وارتفع عدد الطلاب إلى ٩٠,٣٣٣ طالباً، والمدارس الإعدادية إلى أربعة، وارتفع عدد الطلاب إلى ٣٢٠٠، ومدرستان ثانويتان وعدد الطلاب ١٦٠٠ طالباً، وخلاف ذلك فقد افتتحت دورات ليلية تعلم القراءة والكتابة الموجود منها ١٥,٩٥٠. ومن المعروف أن عدد مراكز التعليم في تركستان الشرقية في سنة ١٩٣٦ وقد بلغ ١٩٨٠ مركزاً، ودرس بها ١٢٩,٦٤٩ طالب أويغوري ولم يتمكن أتراك الأويغور من إيجاد فرصة تلقى تعليم تاريخي أو أدبي أو ثقافي في هذا الجانب في

المدارس بعد أن تعرضوا للغزو المانجو صيني سنة ١٧٦٠ - ١٩١١، والصين القومية ١٩١١-١٩٤٩، والصين الحمراء ١٩٤٩ والمعلومات التي تخص وطنهم هي معلومات مكررة. وكان تدريسها ممنوعاً، وكان هدف المدارس هو تعيين أتراك الأويغور، وكان يتم تدريس تاريخ الصين وآدابها وثقافتها. وكان الناس يتجنبون إرسال أطفالهم إلى مدارس كهذه وإذا كان قد استفيد من ضعف الحكومة الصينية بين تواريخ ١٩١٢ - ١٩١٨، ١٩٣١ - ١٩٣٣، ١٩٤٤ - ١٩٤٩ وإذا كانت قد شكلت بعض المراكز التعليمية القومية الحديثة، إلا أنها قد أغلقت بعد مدة، وتعرض منشئوها لعقوبات شديدة.

ولا أستطيع أن أتوانى عن نقل مذكرات صديقي المحترم شكور توران بك، ذلك أن المحترم شكور طوران حينما كان يدرس في مدرسة المعلمين العليا في أوروغجي، كان بولات قادري تورفاني مدرساً للتاريخ، وعندما كان يدخل الفصل في دروس التاريخ كان يسأل الطلاب قائلاً: أهو تاريخ الصين؟ أم هو تاريخ الترك. ومن الطبيعي أن الطلاب عندما كانوا يقولون تاريخ الترك، كانوا يوقفون مراقباً أمام الفصل. وكان المرحوم بولات قادري تورفاني يقوم بإلقاء دروس تخص تاريخ الترك.

أنواع الطعام الأويغوري:

إن عدد الأطعمة التركية الأويغورية يزيد على ١٥٠ نوعاً. ونستطيع أن نجتمع المائة وخمسين نوعاً من الطعام هذه في ستة مجموعات كما يلي:

- ١- أطعمة العجائن، ٢- أطعمة الأرز، ٣- أطعمة اللحوم، ٤- أطعمة القرع، ٥- أطعمة البيض، ٦- أطعمة الخضروات.

توجد عدة أنواع من الطعام في كل مجموعة في هذه الأطعمة المجتمعة في ستة مجموعات فمثلاً توجد أربعة أنواع من الأرز لدى أتراك الأويغور (أرز باللحم، أرز باللحم المفروم، أرز بال Pette، وأرز باللحم المفروم ملفوف في ورق العنب. وتوجد تسعة أنواع من أطعمة المكرونة وتوجد ثمانية أنواع من عجائن الزبادى (عجائن باللحم، عجائن بالكباب، وعجائن بالخميرة، وعجائن جوسى، وعجائن بالسكر، وعجائن بالماء «جواوا» وعجائن الطعام، وعجائن بودونه، وتوجد عدة أنواع للطعام في مجموعات الأطعمة الأخرى مثلما سبق من الأمثلة التي سقناها آنفاً.

وتطبخ المائة وخمسون نوعاً من الطعام هذه في سبعة أشكال، مغلى، ومقلّى، ومدخن، ومدفون، ومشوى، ومقطع، ومخدر، وثلاثة منهم يجهزون في إناء كبير وصحن وتنور. ومن أجل إعداد أطعمة الأويغور لا يكفي طبخ الطعام فقط، بل يجب أن نعرف في أى طعام سنضعه، وأى نوع من الخضروات والبهارات سيوضع أيضاً.

ويدعى الذين يعرفون أسماء بعض أطعمة العجائن الأويغورية أنها أطعمة صينية. وهذه نظرة خاطئة بالنسبة لنا، لأنه ينتج الكثير من الأرز والقمح في الصين. ويأكل معظم الصينيين الأرز المسلوق وقد انتقل القمح إلى الصينيين من الترك، ويعتقد أن معظم الأطعمة الأويغورية

قد انتقلت إلى الصين عن طريق تونكان (المسلمين الصينيين). وهكذا فسدت الأسماء القديمة للأطعمة الأويغورية، وانتقلت إلى المصادر الصينية. ومثلما سبق أن ذكرنا فإنه لا توجد مصادر كافية بين يدي أترك الأويغور من أجل تمحيص هذا، ومن أجل هذا فقد استمر أترك الأويغور في استخدام أسماء هذه الأطعمة التي أصبحت خاطئة.

الطبابة لدى أترك الأويغور:

كان الطب متقدماً لدى أترك الأويغور، وقد نشره إلى أماكن بعيدة. وهناك وجوه للشبه بين طبابة الأويغور والطب الشعبي في الأناضول من عدة أوجه. لقد استخدم أترك الأويغور نظاماً مختلفاً تماماً عن جيرانهم الأساسيين مثل الهند والصين في علاج مرضاهم. وقد نمت في وطن الترك بعض المواد العلاجية مثل الأعشاب والخضروات والفاكهة. وقد طوروا عدة مواد علاجية ذات أصل حيواني. وقد تطور فن العلاج كثيراً لدى الأويغور بواسطة العلاج المخلوب من الدول المجاورة نظراً لعدم وفرته لديهم بسبب ظروف المناخ، وقد حققوا نجاحات عظيمة في علاج المرضى. وفي عام ٧٣٠م ذهب الموسيقى التركي الأويغوري العظيم نانتو إلى الصين. وقد نقل علماء وأطباء الصين بعض أنواع العلاج التي لم يعرفوها من نانتو. وأصبح نانتو - الذي كان طبيباً - في نفس الوقت - مظهراً للاهتمام الكبير في الصين. وقد أحيا أترك الأويغور بنجاح، الأصول الطبية التي استخدموها منذ قرون حتى فترات متأخرة.

الموسيقى والآلات الموسيقية:

تحفل المؤلفات التي كتبها العلماء الغربيون والشرقيون بمعلومات وفيرة عن حب أترك الأويغور للموسيقى ومهارتهم فيها وآلاتهم الموسيقية.

وعلى سبيل المثال يذكر الرحالة المسمى شوان زيان ما يلي عن الرحلة التي قام بها إلى مدينة خوتن في أوائل القرن السابع:

«إن الحالة الاقتصادية لشعب خوتن جيدة جداً، ويعيش شعبها في رفاهية وقد رأيت أنهم شغوفون جداً بالموسيقى والأغاني والفولكلور» ويذكر نفس الرحالة مايلي عن شعب كوجار: «إن شعب كوجار هم أساتذة الآلات الموسيقية، وعلى وجه الخصوص فهم متمكنون جداً في عزف الهورن والكونغو».

ويذكر ويت هو هان مايلي في كتابه المسمى «مذكرات رحلة الغرب» مؤيداً شوان زيان:

ويذكر وان ين الصيني الذي كان موجوداً في قره خوجه كسفير في فترة حكم أرسلان خان (٩٨١) مايلي، في المذكرات التي كان قد كتبها:

«يعزف شعب قره خوجه بتمكن شديد على الكونغو ذا الخمس والعشرين وترًا، والناي. وتكون آلات الرباب معهم دائماً عندما يذهبون في نزعات برية. وكانت الموسيقى تُعزف وقت الطعام حينما كنت موجوداً

في حضرة أرسلان خان.»

يذكر ماركو بولو - الذي طاف في عدة أماكن بتركستان الشرقية في القرن الثالث عشر - مايلي عن أتراك الأويغور في قومول:

«إن شعب قومول ذروا وجه باسم، وهم أهل مزاح، وهم مشغولون باستمرار بالموسيقى والأغاني والألعاب من أجل تسلية أنفسهم.

ويذكر ه.ه. بانتوسوف في كتابة المسمى «أغاني المزارعين» اثنين وستين نوعاً من الأغاني بأسمائها ونصوصها لأتراك الأويغور في إيلي. ويذكر في الصفحة الثامنة عشرة في الكتاب إن أتراك أويغور إيلي في عام ١٨٧١ كان لديهم سبع وعشرون نوعاً من آلة الرباب كانت تصنع يدوياً في كاشغر، وأن الرجال والنساء والأطفال كانوا يستخدمون آلات الرباب بتمكن شديد. وطبقاً لما كتبه فإنه كان في كل بيت تركي أويغوري آلة للرباب (كان هذا على نفس الشاكلة حتى سنة ١٩٥٠، وليس من الممكن معرفة الوضع اعتباراً من هذا التاريخ وما بعده.

وفي تاريخ سلالة سونج في الصين بعض المعلومات عن الموسيقى التركي الأويغوري الكوجاري صاجيو، وعن الموسيقى الأويغورية للموسيقى التورفاني نانتو من الآلات الموسيقية.

وطبقاً لعبارة نانتو فإن الآلات الموسيقية التي لدى أتراك الأويغور أكثر من الآلات الموسيقية الموجودة في المدرسة الموسيقية الموجودة

بالهند. ويؤيد عبارة نانتو هذه الرحالة المسمى وانجورى فى مؤلفه المسمى «مذكرات الرحلة القديمة» وأ. برنشتام فى كتابه المسمى «قصص الشعب الأويغورى فى القرون القديمة والوسطى».

وهناك أيضاً تصاوير تبين فن الموسيقى فى عام ٧٤١، والآلات الموسيقية لدى شعب كوجار. وقد صُوِّرَ الموسيقيون الجالسون منقسمين إلى قسمين على سجادة ضمن هذه التصاوير. ويذكر المؤرخ الصينى فن جيان شن أن كل الآلات الموسيقية فى هذه التصويرة هى للأتراك الأويغور، وذلك فى كتابه المسمى «معلومات تتعلق بتاريخ الأويغور» وأيضاً يمدنا مؤرخ صينى آخر جن يان مو فى كتابة المسمى «موسيقى عهد تانج» بأسماء الآلات الموسيقية لدى أتراك الأويغور من القرن السابع إلى القرن الثامن، ومسودات هياكلها.

وخلاف ذلك فإن هناك المؤلفات التى كتبها مؤلفون أتراك أويغوريون عن الموسيقى وآلاتها. ويذكر الشاعر الخوتنى عصمت الله فى كتابه المسمى «تواريخ الموسيقين» الذى كتبه سنة ١٨٥٥ مستنداً إلى مجموعة من المصادر، أن قادرخان ياركندى هو مخترع الآلة الموسيقية المسماة «هشتار»، وهذا أيضاً يثبت أن أتراك الأويغور كانوا هم الذين صنعوا آلات الرباب.

واعتماداً على الأمثلة التى ذكرناها آنفاً فإننا نستطيع أن نعد ثلاثة وستين نوعاً من آلة الرباب التى استخدمها أتراك الأويغور خلال القرنين

السادس، والعشرين:

- ١- آدی داب ٢- شالداپ ٣- باقسی دابی ٤- داب دوساغی
- ٥- ائیکیکی تره فیکه اورودبفان دومباق ٦- ائیکیکی تارلیق کبجک
- ٧- تورت تارلیق کبجک ٨- اون تارلیک کبجک ٩- قول توریلغازی
- ١٠- جن توریلغازی ١١- توریلغازی دومباغی ١٢- برلیکی رواب
- ١٣- قشقر روابی ١٤- دولان روابی ١٥- قوش رواب ١٦- باش
- ناغرا ١٧- اوطورا ناغرا ١٩- ناغرا دومباغی ٢٠- قشقر دوتاری
- ٢١- زوتن دوتاری ٢٢- اوج تارلیق طامبیر ٢٣- بش طارلیق طامبور
- ٢٤- نای ٢٥- نای (اون دوشوکک) ٢٦- جابابی ٢٧- جوب
- صابابی ٢٨- اکیز قوموزی ٢٩- قوموز وفی شکل الطنبور ٣٠-
- طقطق ٣١- طقطق دومباغی ٣٢- صاتار رایکیکی طارلیق ٣٣-
- صاتار (طقوز طارلین ٣٤- قالون ٣٥- کجک زن ٣٦- جون زن
- ٣٧- بیالة ٣٨- کولول ٣٩- فوترو (جوبجا) ٤٠- جافجة ٤١-
- جویتاشی ٤٢- دومبرا ٤٣- یلله ٤٤- جان ٤٥- آیکی ٤٦- هوپی
- ٤٧- بارمان ٤٨- دمیر ٤٩- قابو ٥٠- سکریبیکا ٥١- جونای
- ٥٢- قوجار صونابی ٥٣- قارنی ٥٤- بت جاکور ٥٥- رکساوزا
- ٥٦- چهار طار ٥٧- هشتار ٥٨- سیت ٥٩- بشتار ٦٠- جونتار
- ٦١- زیلتا ٦٢- ینجینی ٦٣- جان.

وإذا كان أتراك الأويغور قد اخترعوا جزءاً كبيراً من هذه الآلات
الموسيقية التي عددنا أسماءها، فإن جزءاً آخر قد أخذوه من جيرانهم

الآخرين العرب والهنود الصينيين. وخلاف ذلك فإن الصينيين قد أخذوا من أترك الأويغور آلات موسيقية مثل كونجو ويونى وتوريلباز.

وفى نفس الوقت فقد أعطيت لبعض الآلات الموسيقية السالفة أسماء عربية وفارسية وهندية وصينية. وإذا كنا سنأخذ فى الاعتبار أن التبادل الحضارى السنوى الذى امتد قروناً قد أنهى التعبيرات التى استخدمها أترك الأويغور فى عهود المانية والبوذية، وأن اللهجة التركية الأويغورية قد تغيرت، فإننا نجد أن هذا الحدث طبيعى جداً. وعلى وجه الخصوص فقد فسدت تعبيرات معظمها تركية أويغورية ودخلت اللغة الصينية، والمصادر التى تتعلق باللهجة التركية الأويغورية ليست كافية من أجل تمحيصها أيضاً.

ونحن عندما ندرس موسيقى أترك الأويغور وآلاتهم الموسيقية يجب أن نذكر أنها تتكون من ١٢ مقام. وقد أصبح الإثنى عشر مقاماً لدى أترك الأويغور ظاهرين فى ثلاثة عصور فيما بين القرن السابع والتاسع الهجرى. وذلك أنه كان قد أتم منها خمسة فى القرن السابع، وتسعة فى القرن الثامن، أما فى القرن التاسع فقد اكتمل الإثنى عشر مقاماً. وميزة الإثنى عشر مقاماً هذه قدرتها على جمع الخصائص القومية لأترك الأويغور، وعاداتهم وتقاليدهم، وأشكال مجتمعهم وحياتهم، ورغباتهم وأمانيتهم، باختلاف العصور التى مرت عليهم. وقد أظهرت الخمسة مقامات الأولى مهداة للشمس والقمر والنجوم والأرض والماء.

البنية الاجتماعية وأسلوب الحياة:

إن شخصية أتراك الأويغور تمثل غرورا منذ الميلاد، كما أنهم أناس حشنون بتأثير ظروف المناخ، ولذلك فإنهم لم يواجهوا بأية صعوبة في تطوير إرادتهم القومية وثقافتهم اللغوية. وبمكثنا أن نرى انتقال أتراك البرارى الفرسان إلى الحياة المستقرة، وإذابتهم لشخصيتهم داخل هذا الطراز، وأوجدوا نماذج لخلق حضارة جديدة لدى أتراك الأويغور لأول مرة. وإذا كان أتراك الأويغور قد ظلوا تحت تأثير الحضارتين الغربية والشرقية بسبب البيئة الجغرافية التى وجدوا فيها. فمن المقبول أنهم قد كانوا قوماً من الأتراك الذين قد ظلوا بمنأى عن هذه الثقافة التى تنسبها، وأظهروا نشاطاً ذهنياً، وكانوا ناهمين لدرجة أنهم أوجدوا حضارة خاصة بهم. وخلال فترة طويلة تقدر بخمسة قرون، ظل أتراك الأويغور مرتبطين جداً بالتسامح فى عقائدهم، ونجحوا فى انتهاج حياة مجتمع البرارى التركية، والحياة المستقرة.

وأترك الأويغور مرتبطون بالجنس الأوربى، ولهذا فإن الصينيين يعرفون أتراك الأويغور فى التصاوير التى رسموها فيها بأنهم قصار القامة، وذوو شعر طويل وأصفر، وأنف مستقيم، وعيون زرقاء. وهم مرتبطون جداً بتقاليدهم وملابسهم على وجه العموم ملابس متوسطة على طراز البرارى. وهناك الأحذية والأحزمة التركية المصنوعة من القماش أو الأحزمة الجلدية لتعليق الأشياء. ويعتقد الباحثون أن أتراك الأويغور كانت لهم زوجة واحدة وكانوا يحترمون زوجاتهم بلا حدود، ويعتقدون

أنهن لم يكنن فقط نساء بل كنن رفيقات الحياة وكاتمي سرهم. وتُعرف الزوجات الأويغوريات بأنهن ذوات روح خفيفة جداً، ووقورات وكريمات. وملابسهن ملونة ذات زخارف كثيرة، ويحببن ارتداء الخرز والمخلخال، وتضفر الفتيات شعورهن قبل الزواج، وبعد الزواج لديهن عادة فرقه إلى قسمين أو يسدلونه إلى الوراء في شكل معقود. ولم تكن زوجات الأويغور يكتفين فقط بالأعمال المنزلية، بل كنن في نفس الوقت يعملن مع أزواجهن في كل مجال (مثلما كان الحال في الأناضول). وخلاف ذلك فإن من المعروف أن زوجات الحكام لدى أتراك الأويغور كانت هنن أدوارهن الهامة في أمور الدولة في بعض الأحيان.

كانت الزوجات الأويغوريات - اللاتى كنن ذوات روح رقيقة، ووقورات وكريمات - تتمتعن باحترام كبير داخل الأسرة.

القائد في الأسرة هو الأب. وهو يشير إلى الأشياء التى كانت تؤدى في الأسرة. وكان نفوذه على أبنائه كبيراً فقد كان يمكن أن يتخذ من أحد أحفاده ابناً له ويقوم بتربيته.

القسم الخامس

الاقتصاد الأوغوري حتى سنة ١٩٤٩

الاقتصاد الأويغورى حتى سنة ١٩٤٩

الزراعة:

كنا قد ذكرنا فيما سبق من حديثنا أن أترك الأويغور قد انتقلوا لأول مرة داخل قبائلهم التركية إلى الحياة المستقرة، وعملوا بالزراعة منذ عهود قديمة جداً. وبعد أن انتقل أترك الأويغور إلى الحياة المستقرة، فقد شكلت الزراعة عصب اقتصادهم.

وتشكل المساحات المزروعة فى تركستان الشرقية ١٪ من مساحة الدولة، ومقدار المساحات المزروعة ١,٣٠٤,٠٠٠ هكتار. وتشكل ٩٠٪ منها تقريباً أى ١,١٦٠,٠٠٠ هكتار منها الحبوب (القمح والشعير والذرة والأرز) وتعتمد الزراعة بدرجة كبيرة على الري بسبب جفاف المناخ، وتساعد على الري بدرجة كبيرة الأنهار التى تنزل من الجبال التى يعد كل منها مخزناً للمياه وتحيط بالأحواض، مع ذلك فإن هناك أراضى من الممكن زراعتها دون ري. وهى القطاعات التى يكون المطر فيها بدرجة كافية، أو يكون مستوى المياه تحت سطح الأرض عالياً. ومن هذه الوجهة هناك فرق بين منطقة جونغاريا ومنطقة تاريم، وتقام الزراعة الجافة فى ١٥٪ من المساحات المزروعة فى منطقة تاريم.

ومن المعتقد أن منطقة تورفان ومارالباشى من أهم المراكز التى تزرع القطن بتركستان الشرقية فى سنة ١٩٤٩. وحسبما يُظن فقد كان ينتج ما يزيد عن ٣٠٠,٠٠٠ طن من القطن فى السنة بإمكانيات بدائية فى تركستان الشرقية فى سنة ١٩٤٢. ويجب أن يكون هذا الناتج قد زاد تحت ظروف العمل الحالية. وكان يتحصل على ٢٥,٠٠٠ طن قطن فى تورفان فقط فى تلك العهود.

وإذا كان معروفاً أن النباتات الصناعية فى تركستان الشرقية مثل زهرة القمر وبنجر السكر وصناعة الحرير كانت تتمتع برواج كبير، فإنه ليست بين أيدينا معلومات صريحة عنها. وباركند وخوتن هى مراكز صناعة الحرير فى تركستان الشرقية. وطبقاً للتوقعات التى كانت فى الأربعينات فإنه كان يتحصل من هذه المناطق على ما يقرب من ستة أطنان من الحرير الخام فى السنة.

وبالإضافة إلى كل هذا فلتذكر أيضاً هذه النقطة، فإنه يزرع فى تركستان الشرقية ٢٥ نوعاً من الخضر، و ٣٠ نوعاً من الأعشاب الطبية و ٢٠ نوعاً من الفاكهة و ٣٥ نوعاً من الزهور. ويزرع ٢٢ نوعاً من الشمام، و ٣٤ نوعاً من التفاح و ١٣ نوعاً من العنب و ١١ نوعاً من الخوخ و ٩ أنواع من المشمش و ٥ أنواع من الخوخ، وأسمائها وأجناسها وأشكالها وألوان أنواعها من الداخل والخارج وطعمها مختلف عن بعضها الآخر.

تربية الحيوانات:

كان اقتصاد أترك الأويغور في عهده الأولى اقتصاداً يعتمد على تربية الحيوانات، وكانت تربية الخيول والشياه والثيران والأبقار أساسية. وكانت تشكل مواد ومتطلبات الطعام والملبس والاحتماء المتحصلة من العناصر الحيوانية كانت تشكل أساس اقتصاد أترك الأويغور.

وهذا الوضع موجود الآن، ومن المعتقد أن سفوح جونغاريا وسفوح جبال طانرى، والسهول الموجودة غرب حوض تاريم هي مراكز تربية الحيوانات لدى أترك الأويغور الآن. والأمطار في جونغاريا وخاصة في النصف الغربى منتظمة وأكثر قليلاً بالنسبة للمناطق الأخرى المجاورة. وفي نفس الوقت فإن الارتفاع النسبى فى الرطوبة يُعد الأرض لتتقدم بنباتات الأستبس، وقد يعطى الفرصة لتكون المناطق العشبية الواسعة فى تلك النواحي. وكنتيجه لهذا أصبحت تربية الحيوانات فى جونغاريا واحدة من العناصر التى شكلت أساس الاقتصاد لأترك الأويغور، وتفصل جبال طانرى التى تتم على سفوحها تربية الحيوانات على نطاق واسع بين منطقة تاريم التى كانت منطقة زراعية، وجونغاريا التى كانت ساحة لتربية الحيوانات عن بعضها.

وقد بُين عدد الحيوانات الموجودة فى تركستان الشرقية فى سنة ١٩٤٤ فى الجدول التالى:

١,٣٠٠,٠٠٠

الماعز

٥٠٠,٠٠٠

الجمال

(مارتين .س. نوريتز سنكيانغ بوابة لآسيا، نيويورك، ص، ١١٠)

المواد المتحصلة من النتاج الحيوانى:

مع أنه ليست بين أيدينا معلومات صريحة عن المواد المتحصلة من الانتاج الحيوانى فى عصر الصين الحمراء، إلا أن المواد المتحصلة من المنتجات الحيوانية فى السنة فى تركستان الشرقية حتى سنة ١٩٤٤ هى كما يلى:

١,٥٠٠,٠٠٠

جلود الشياه

١٠٠,٠٠٠

فراء Ermin

٦٠,٠٠٠

جلود الثيران

٤٨,٦٠٠

فراء الثعالب

٤٠,٠٠٠

جلود الخيول

٥٠٠٠

فراء السنجاب

(مارتين .س. نوريتز، سنكيانغ بوابة لآسيا، نيويورك، ص ١١٠ .)

الصناعة:

كانت الصناعة فى تركستان الشرقية عبارة عن الفنون اليدوية أكثر

فمنذ القدم ينسجون الأقمشة الحريرية والقطنية، وكانت تصنع أشياء مثل السجاد أيضاً والأكلمة (نوع من السجاد)، وكان يوجد في تركستان الشرقية عدد ٣٠٢ ورشة وآتيليه ومصنع و isietme وكانت مصانع صغيرة متخصصة في صناعة السجاد والجلود والحديد والنحاس.

وقد تأسست في سنة ١٩٤٢ في أوروجي مصانع للغزل والنسيج ومصانع للصابون ومصانع للمأكولات المحفوظة.

المعادن:

إن تركستان الشرقية بلد غنية بثرواتها- التي سواء كانت تحت الأرض أو فوق سطح الأرض - بدرجة لا تقبل المقارنة بالدول الأخرى. ومن المعتقد أن منطقة قره ماي واحدة من أهم مناطق البترول بالصين الحمراء، وطبقاً للاحصائيات التي تمت في عام ١٩٦٤ فقد صُرح بأن احتياطي البترول بتركستان الشرقية يبلغ ١٦٠ مليون طناً، لدرجة أنه كان ينتج ٧٥ ألف برميل في اليوم في قره ماي، و ١,٠٣٦,٠٠٠ طن بترول سنوياً (نيوز ويك، ١٠/٢٧/١٩٧٥) وخلاف ذلك فقد اكتشفت آبار بترول غنية أيضاً بجوار منطقة تاريم وتورفان وقد هيمنت تركستان الشرقية على ٣٠٪ من ١٠,٧ مليون طن بترول المنتجة في الصين في عام ١٩٦٦.

ومن المعروف أن سفوح جبال الآلتاي وتيان شان وكنلون، وأوروجي وتورفان وقره شهر وكوجار وكاشغر وينكي حصار وجوجوك من مراكز

إنتاج الفحم في تركستان الشرقية. وكان يُستخرج ١٠٠ ألف طن فحم سنوياً في تركستان الشرقية. في الأربعينات وإذا نظرنا لما نشرته إذاعة أوروبجي في سنة ١٩٥٩، فإن هناك ٦٠٠,٠٠٠,٠٠٠ طن احتياطي من الفحم في سفوح الجبال الموجودة في جنوب مدينة أوروبجي.

الحديد: يوجد في القطاعات الجنوبية والشمالية من تركستان الشرقية، أما المناجم التي تقع في جوجوك، فهي أغناها. وخلاف ذلك فهناك مناجم حديد غنية في تورفان وأقسو وإيلي وينكي حصار.

الذهب: كانت تستخرج ٥٠ ألف أوقية من الذهب سنوياً في نواحي الآلتاي وباركول وجرجن وإيلي وكريّة وجوجك وأوروديس خلال الأبحاث التي تمت في تركستان الشرقية بين عامي ١٩٣٤-١٩٤٣.

النحاس: بالرغم من أن مقدار احتياطي النحاس في تركستان الشرقية غير معروف، إلا أنه من المعروف أنه توجد مناجم غنية بجوار إيلي وكوجار وباي وأوروبجي.

وبالإضافة إلى كل ذلك فقد صرّح العلماء الروس بين عامي ١٩٣٤، ١٩٤٣ أنه قد اكتشف اليورانيوم في خمسة مواضع والتنجستين في خمسة مواضع، والقصدير في ثلاثة عشر موضعاً والزئبق في موضعين والأمونيا في ستة مواضع.

القسم السادس

عصر الصين الحمراء

قد يكون من المفيد أن نلقى نظرة على النظريات الماركسية اللينينية والستالينية في قضية شعوب الأقليات حتى نفهم جيداً الإجراءات الصينية الشيوعية في تركستان الشرقية. وليس هناك أى بحث قام به ماركس أو إنجيلز، أو أى مؤلف ألفه عن شعوب الأقليات، إلا إنهم في الفترة التي ناقشوا فيها هذا الموضوع قد تناولوه فقط من الوجهتين السياسية والصحفية. أو أنهم تلقوه في التاريخ على أنه قضية عديمة الأهمية ومن الدرجة الثانية. وإذا كان ينبغي التوضيح باختصار، فإن ماركس وإنجيلز قد لاحظوا أن قضية شعوب الأقليات كعنصر تكتيكي فقد أكثر من مجرد كونها مبدأ أساسياً للصراع الطبقي. وقد عَصِدَ ماركس وإنجيلز طوال عمرهما صراع استقلال الدول ذات الأقليات ثلاث مرات فقط، وهي صراع شعوب الهند وإيرلندا وبولونيا من أجل الاستقلال. وعلى سبيل المثال يذكر ماركس مايكي معضداً صراع الاستقلال الذي قام به شعب إيرلندا عام ١٨٧٠ ضد الإنجليز «إنها حركة تجهز لثورة شيوعية في دولة بريطانيا». (كان ماركس وفريدريك إنجيلز سوشتيا، موسكو ١٩٣٦).

وقد عَصَّد بنفس الكلمات تقريباً، الصراع الذى قامت به الهند ضد الإنجليز، وعندما نأتى لسبب تعضيدهم بولونيا فقد كان هذا من أجل أن تأخذ روسيا القيصرية ريادة الانتشار فى أوروبا. فعندئذ فقد استنكروا رغبة الجيك والصرب فى الانفصال عن الامبراطورية النمساوية المجرية.

قد أعلنوا هذا قائلين إنها حركة مضادة (نفس المرجع ص ٢٥٩-٢٦٥)، وطبقاً لآرائهم، فإن الجيك والصرب أمم بلا تاريخ، ولذلك فإنهم يجب أن يعيشوا كمستعمرة نمساوية ومجرية. وذلك لأنه طبقاً لما يدعيه ماركس وإنجليز، فإن الأمم التى لا تستطيع أن تتقدم فى المجالات الاجتماعية والاقتصادية هى أمم بلا تاريخ. (نفس المرجع، ص ١٦١).

إننا يجب أن ندرس نظريات لينين عن قضية شعوب الأقليات على ثلاثة أقسام. فقد كان لينين متحيزاً لنظام الإدارة المتمركز طبقاً للنظام الاتحادى فى عصور ما قبل ثورة أكتوبر. وطبقاً لرأيه فإن تطور الرأسمالية فى نظام إدارى متمركز كان يتم سريعاً، وكان يعجل بثورة البروليتاريا هذه.

وخلاف ذلك كان لينين متحيزاً للثقافة العالمية بدلا من الثقافة القومية وكان مؤمناً بالسياسة التى انتهجها إنجلترا فى قضية السويد فى الفترة التى تمتد حتى ١٩١٧. وكان معارضا شديدا لفكرة قبول النظام

الفيدرالى فى حل مشاكل الأمم التى داخل الامبراطورية الروسية القيصريّة. وعضد بكل صراحة نظام الدولة المكريّة. وطبقاً لتعبيره هو فإن النظام المكريّ كان يعمل على تقريب ثورة البروليتاريا مثلما كان سيعمل على تطور الرأسمالية لهذا السبب. ومن أجل هذا فقد فضل لينين أيضاً العالمية على الحضارة القومية، وكان معارضاً للحكم المدنى لشعوب الأقليات. وحرّض بكل صراحة على توحيد شعوب الأقليات بالتعليم.

ولم يستطع لينين أن يتوقع أن مشاكل شعوب الأقليات فى روسيا ستكون مشكلة خطيرة حتى سنة ١٩١٧. ولم يستطع أن يفهم - فى نفس الوقت - أن شعوب الأقليات ستحاول أن تنفصل عن روسيا وتخرج منها. ولكن فى النهاية بعد أن رأت روسيا أن الذين أرادوا الانفصال عن الحكم الروسى كانوا كثيرين اضطرت أن تغير فى التكتيك. وعلى سبيل المثال فقد أسس الأوكرانيون حكومتهم بعد أن انهارت الحكومة القيصريّة وطلبوا إعطائهم الحكم. وكان لينين يبدو كما لو كان سيعضد هذا الطلب فوراً، ولما جاء هذا الطلب من شعوب الأقليات الأخرى فى روسيا فقد نصح لينين الحزب الشيوعى بنشر البيان المشهور المتعلق بالاعتراف بحق شعوب الأقليات فى تقرير مصيرها، وسبب آخر لهذا هو أن الأحزاب الروسية البرجوازية وحكومة جمهورية كرنسكى كانتا معارضة لطلبات شعوب الأقليات هذه.

وبهذه التكتيكات يكون لينين قد جذب شعوب الأقليات إلى صفه من ناحية، ومن ناحية أخرى يكون قد حقق مساندتهم ضد حكومة

كرنسكى فى نفس الوقت، ولكن بعد أن أخذ لينين حكم روسيا فى يده بكل ما تحمله الكلمة من معنى فقد غير تكتيكه هذا، واتهم الذين أرادوا الانفصال عن روسيا بالعناصر البرجوازية الانفصالية. وهكذا فإنه دفع الجيش الأحمر لأن يهجم على أراضى الشعوب التى أعلنت استقلالها وقررت مصيرها بنفسها. ونتيجة لذلك اضطرت أوكرانيا التى أعلنت استقلالها بين عامى ١٩١٨-١٩٢٢، وقرغزستان وأرمينيا وتركستان الغربية تأسيس إتحاد فدرالى مع الاتحاد السوفيتى مرة أخرى.

وبعد أن احتل الجيش الأحمر بلدان شعوب الأقليات، ظهرت إلى الوجود مشكلة كيفية حل قضاياها داخل الدولة الشيوعية فقد ظهرت ثلاثة مجموعات منفصلة بين الشيوعيين فيما بين عامى ١٩١٩، ١٩٢٣، ١٩٢٣ ظهور آراءهم فى أسلوب حل هذه المشكلة، وكان ستالين يجذب إلى إحدى هذه المجموعات الثلاثة. أما ستالين فقد ساند فكرة إعطاء لشعوب الأقليات سلطة محدودة.

وليس هناك كتاب ألفه ماركس أو إنجيلز أو لينين أو ستالين أو زعماء صينيون شيوعيون آخرون بما فيهم ماوتسى تونج، ويتعلق بقضايا شعوب الأقليات فى الصين.

ووافق ماوتسى تونج على قرار يتعلق بإعطاء سلطة داخلية لشعوب الأقليات فى الصين، وذلك فى المجلس الثانى لشيوعى الصين فى شهر تموز ١٩٢٢ على أن تكون مرتبطة بالحكومة المركزية الصينية. أما فى الدستور

المؤقت لشيوعي الصين الموافق عليه في مجلس العمال الصيني في سنة ١٩٣١ فتوجد هذه المادة.

«إن شعوب منغوليا والتبت وسنكيانغ (تركستان الشرقية) لها الحق في الانفصال عن دولة الصين إذا أرادوا، وتأسيس دول مستقلة لهم، أو أن يظلوا دولاً حاكمة مرتبطة باتحاد جمهورية الصين الشعبية».

وعبر ماوتسي تونج في المجالس الستة الموسعة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني في عام ١٩٣٨، بأن شعوب الأقليات في الصين هي شعوب متساوية مع الصينيين وأنها صاحبة حقوق، كما أن شعوب الأقليات ليست مجبرة على تعلم اللغة الصينية، وأنها حرة في الإبقاء على كتابتها ولغتها وثقافتها. (جن من جيه باو: ١٩٥٢/٩/٩).

وقد انتقد ماوتسي تونج السياسة التي انتهجتها حكومة الصين القومية ضد شعوب الأقليات، وذلك خلال خطابه الذي ألقاه في المجالس الستة للشيوعيين الصينيين في سنة ١٩٤٥.

وإذا كان الشيوعيون سيأخذون الحكم في الصين، فقد بين أنه سيعطي لشعوب الأقليات حق تقرير المصير.

ومن الطبيعي أنه لم يكن هناك من يصدقون هذه الوعود المعسولة للصين الحمراء في تركستان الشرقية مثلما كان الوضع في الاتحاد السوفيتي. وإذا كان الشيوعيون سيأخذون السلطة في أيديهم، فإنهم كانوا يأملون أن

يأخذ شعب تركستان الشرقية حق تقرير مصيره بنفسه. وطبقاً لآرائهم، فإن الصين الحمراء على الأقل - كانت تستطيع أن تعطى السلطة بالمفهوم العام لشعب تركستان الشرقية، وكان يتزعم رئاسة المجموعة التي ترى هذا الرأي أحمد جان قاسمى، أما أحمد جان قاسمى فكان من زعماء العصيان الذى ظهر ضد حكومة فوجونج شى فى إيلى سنة ١٩٤٤. وإذا كان ثوار «إيلى» قد خلعوا ثلاثة ولايات بتركستان الشرقية من جنود الصين القومية فى وقت قصير (إيلى وآلتاي وتارابغتاى)، وأعلنوا جمهورية التركستان الشرقية المستقلة الثانية فى إيلى فى ٧ أكتوبر ١٩٤٤، إلا أنه تحت تضيق الاتحاد السوفيتى، فقد اضطر ثوار إيلى لإبرام الصلح مع الصين القومية.

أما أحمد جان قاسمى فقد رأس الوفد الذى اشترك فى مباحثات الصلح باسم ثوار إيلى، وبناءً على الاتفاقية الموقعة من كلا الطرفين بعد المباحثات فقد تأسست حكومة ائتلافية، وعُيِّن أحمد جان قاسمى معاوناً للوالى العام فى الحكومة المؤسسة تحت رئاسة الجنرال جانج جى جونج.

وحينما بدأت وحدات الصين الحمراء تغزو تركستان الشرقية؛ وبتاريخ ١٥/٨/١٩٤٩، تحركت هيئة تحت رئاسة أحمد جان قاسمى إلى بكين من أجل الاشتراك فى اجتماع مجلس المشورة الشعبية فى الصين. ولكن تعرضت الطائرة التى كانت تقل الهيئة التى يرأسها أحمد جان قاسمى إلى بكين لحادث^(١). وخلاف سيف الدين عزيزى الذى أصبح الوالى

(١) اكتشفت سر مقتل هؤلاء القادة بعدما تفكك الاتحاد السوفيتى فى عام 1991 باعتراف أعضاء تركية فى

العام للتركستان الشرقية اليوم، فإن جميع الزعماء الآخرين الذين كانوا في الطائرة قد ماتوا. وهكذا فإن قضية زعماء ثورة إيلي - نتيجة لحادث الطائرة الذي لم يمكن تفسيره حتى اليوم، لم تحل. وفي نفس الوقت، فإنه مثلما ذكرنا من قبل، فإن برهان شهيدى الذى عُنَّ كوال عام للتركستان الشرقية في عهد الصين القومية قد أرسل برقية إلى الصين، وأعلن الاستسلام.

ولكن بمجرد أن امتلك الشيوعيون الحكم في أيديهم في الصين في عام ١٩٤٩ أصدروا البيان التالي:

إن مساعدة الأقليات القومية من الجهود التي نقوم بها من أجل التخلص من الظلم والاحتلال ليس شأننا. ولكن شأننا هو مساعدتهم على اللحاق بالمساواة القومية التامة، ووصولهم إلى المستوى الديمقراطي الجديد وامتلاكهم للتجديدات في حياتهم المادية والثقافية.

نعم، إن الصين الشيوعية لم تكتف فقط بالإنكار الكامل للوعود التي أعطوها من قبل لشعوب الأقليات في الصين مثل «الانفصال عن الصين كما يريدون» و«تقرير مصيرهم بأنفسهم»، بل إنها في نفس الوقت كانت تعلن أنها لن تساعد في جهودهم التي يقومون بها من

المخابرات الروسية kkb سابقا، حيث أن الاستخبارات الروسية اختطفتهم بطائرتهم من تركستان الشرقية وسجنهم في منطقة قازاقستان التابعة للروس في ذلك الوقت، وحاولوا إرجاعهم عن فكرة استقلال تركستان الشرقية عن احتلال الصين. ولكن القادة لم يستسلموا لضغط الروس. وبعد سنة أشهر قتلهم الاستخبارات الروسية. وحادثة الطائرة المخطئة مزيفة ومديرة من الروس والصين.

أجل التخلص من الظلم والسيطرة.

وسيلاحظ في المباحث التالية كيف تحقق هذا.

تأسيس مناطق الحكم الذاتي

بعد أن سحقت الصين الحمراء كل القوى التي كانت ضدها في تركستان الشرقية، فهمت أنه قد جاء أوان القيام بالإصلاح الحكومي في تركستان الشرقية، وبدأت في اتخاذ الإجراءات اللازمة. وتم تنظيم اجتماع في بكين لدراسة النشاطات السنوية التي كانت تتم في دول شعوب الأقليات القومية، وذلك في العيد السنوي لتأسيس جمهورية الصين الشعبية في ١٠/١٠/١٩٥٠ وقد اشتركت تركستان والتبت ووفود من وسط منغوليا في هذا الاجتماع الذي نظمته اللجنة المكلفة برعاية أمور الأقليات القومية في الصين الحمراء. وقد سألهم لي وي هن رئيس هذه اللجنة التي قابلت الوفود التركية الإسلامية التي جاءت من التركستان الشرقية عن آرائهم في شكل مناطق الحكم الذاتي المقرر إقامتها في تركستان الشرقية. (لواء الشيوعية: ١٩/٣/١٩٧٤) وقد طلبت الوفود التركية الإسلامية التركستانية الشرقية في وقت واحد رفع كلمة (المستعمرة الجديدة) سنكيانغ الذي أطلقه المستعمرون المانجو صينيون على تركستان الشرقية، وإطلاق اسم تركستان الشرقية بدلاً منه

أو جمهورية حلف أويغورستان. (لواء الشيوعية: ١٩/٣/١٩٧٤)، وكانت وفود تركستان الشرقية محقة في طلباتهم هذه، لأن تركستان الشرقية - مثلما ذكرنا من قبل - كانت الوطن الأم لأتراك الأويغور. أما هذه الأمة التي كانت الوطن الأم لأتراك الأويغور فكان من الطبيعي جداً أن تسمى بأويغورستان. وخلاف ذلك فقد أعلنت الصين الحمراء نفسها حامية الشعوب المقهورة وأنها كانت ضد الإستعمار. وكان من الطبيعي لأمة ضد الإستعمار أن تزيل كلمة سنكيانغ أو شنجيانغ (المستعمرة الجديدة) التي أطلقها المستعمرون على تركستان الشرقية.

ويجب علينا هنا أن نضيف هذه النقطة، إنه إذا كان التزييف ذكاءً فإن الاتحاد السوفيتي قد أسس جمهوريات بإسم الشعوب التي عاشت في هذه المناطق وشكلت الشعوب التركية الإسلامية غالبيتها - جمهورية أوزبكستان، جمهورية تركمستان، وجمهورية قيرغيزستان، وجمهورية قازاقستان. وعلى سبيل المثال فإنه طبقاً لتعداد السكان الذي أعلنه الاتحاد السوفيتي في سنة ١٩٧٠ فقد كان يعيش في جمهورية قازاقستان ٤,١٦١ مليون قازاقي و ٥,٥٠٠,٠٠٠ مليون روسي و ٩٣٠ ألف أوكراني، و ٢٨٤ ألف تاتاري، و ٢٠٨ ألف أوزبكي، و ١٩٨ ألف روسي أبيض، و ١٢١ ألف أويغوري و ٩٨ ألف كوري. وبالرغم من ذلك فإنه نظراً لأنها كانت المنطقة التي كان يعيش فيها أتراك القازاق، فقد تأسست جمهورية قازاخستان هناك، ولكن عارض كل زعماء الصين الحمراء الآخرين، وعلى رأسهم لي وي هن ، طلب الوفد التركستاني

الشرقي هذا بكل شدة والذي يتعلق بتأسيس مناطق للحكم الذاتي في تركستان الشرقية في المجلس الثاني الموسّع للجنة المكلفة بالإعلان عن أمور الأقليات القومية في الصين الحمراء. وقد قدمت لمجلس الحكومة المركزية للصين الحمراء من أجل التصديق عليه. وقد وافق مجلس الحكومة التركستانية على مسودة هذا القرار في ١٩٥٢/٨/٨، ووضعت موضع التنفيذ. وطبقاً لهذا القرار فقد اقترح تأسيس ثلاثة أنواع من مناطق الحكم الذاتي في تركستان الشرقية:

أ- إذا كانت قبيلة واحدة تعيش في منطقة ما وتشكل الأكثرية، فإنه تؤسس لهم منطقة حكم ذاتي خاصة.

ب- إذا كانت القبيلة التي معظمها في منطقة تعيش مع قبائل أخرى ظلت في حالة أقلية، فإنه تؤسس مناطق حكم ذاتي سواء للقبيلة التي تمثل الأكثرية، وفي نفس الوقت للقبائل الأخرى التي ظلت في حالة أقلية.

ج- إذا كانت مجموعة من القبائل المتساوية في العدد مع بعضها تعيش في منطقة ما تؤسس لها مناطق سياسية منفصلة. ولكن يكون لها جميعاً حكومة ائتلاف مشتركة.

ولم يكن من الممكن تأسيس منطقة حكم ذاتي منفصل للصينيين في تركستان الشرقية، فمن الطبيعي أن هذا الوضع كان يعطى للصينيين في تركستان الشرقية الحق في الذهاب إلى المكان الذين يريدونه وقتما

يريدون وكذلك حق التوطن والعيش.

وطبقاً للقرار المذكور آنفاً فإن مناطق الحكم الذاتى المقترح تأسيسها فى تركستان الشرقية كانت ستعد جزءاً لا يتجزأ من جمهورية الصين الشعبية. وخلاف ذلك فإن الأجزاء الإدارية التى ستشكل فى مناطق الحكم الذاتى هذه كانت ستربط بالحكومة المركزية لجمهورية الصين الشعبية أيضاً. ومرة أخرى فإنه طبقاً للقرار السالف، فإن مناطق الحكم الذاتى القومية التى ستؤسس فى تركستان الشرقية، كان يمكنها أن تؤسس أجزاء إدارية خاصة بها، وكان يمكنها أن تفتح مدارس تقوم بتدريس لغاتها ولهجاتها، وخلاف ذلك فإن كل منطقة حكم ذاتى كان يمكنها أن تصدر قوانينها الخاصة، ولكن هذا القانون الذى سيوافق عليه، كان سيخضع لتعديل الحكومة المركزية بالصين الحمراء قبل وضعه موضع التنفيذ.

وفى النهاية، بعد الموافقة على هذا القرار من قبل الحكومة المركزية الصينية الحمراء، تم تأسيس لجنة من أجل إمكان القيام بالإجراءات اللازمة بخصوص تأسيس مناطق الحكم الذاتى اعتباراً من سبتمبر ١٩٥٢ بتركستان الشرقية. وكان يترأس هذه اللجنة برهان شهيدى الوالى العام للتركستان الشرقية وصينى يدعى كاو جنى جونج وسيف الدين عزيزى الكاتب الثانى لمكتب مستقبل (شؤون) تركستان الشرقية بالحزب الشيوعى الصينى. وكانت هذه اللجنة - بعد الجهود المبذولة - كانت قد ساعدت على تأسيس خمس ولايات مناطق للحكم الذاتى، وست مناطق للحكم الذاتى للنواحي، حتى سنة ١٩٥٤. وبعد تأسيس مناطق

الحكم الذاتى بتركستان الشرقية، سُكّلت لجنة خاصة أخرى بتاريخ فبراير ١٩٥٥ وبدئ في إجراءات تتعلق بالأسماء التى ستطلق على تركستان الشرقية كلها، وبعد المباحثات والجهود الطويلة المبذولة قررت الصين الحمراء إطلاق اسم منطقة سنكيانغ (شنجيانغ) ذات الحكم الذاتى. وقد قدّم هذا التكليف بتاريخ ١٢/٩/١٩٥٥ لإعتماد اللجنة الدائمة للمجلس القومى بجمهورية الصين الشعبية ومجلس الدولة بجمهورية الصين الشعبية أيضاً وبعد أن اعتمد هذا القرار، أطلق على تركستان الشرقية كلها بـ «منطقة شنجيانغ الأويغورية ذاتية الحكم» اعتباراً من تاريخ ١/١٠/١٩٥٥، وبعد أن استولى الشيوعيون على الحكم فى الصين تماماً ذكروا أن لغة كتابة شعوب الأقليات فى الصين لم تكن كافية لدراسة السياسات المختلفة للحزب والحكومة ولاستيعاب أساليب التصنيع.

وحرصوا على سياسة تحريف لغتهم. وطبقاً لادعاءاتهم فإن صعوبات كهذه من شأنها أن تؤخر تعلم الأقليات القومية من الناحية الفكرية. ومن أجل هذا فقد غيرت الصين الحمراء أيضاً لغة الكتابة التى كان يستخدمها شعب تركستان الشرقية منذ ألف عام، وبدأت فى الإجراءات اللازمة. من أجل إمكانية إيجاد لغة كتابة جديدة. ومن الطبيعى أن الهدف الرئيسى للصين الحمراء كان هو اقتلاع كل الروابط التى كانت لشعب تركستان الشرقية وثقافتهم الماضية. والنتيجة أنه فى يناير ١٩٥٦ استحدث معهد لغات شعوب الأقليات القومية على أن يكون مرتبطاً بأكاديمية العلوم الصينية، وعُيِّن برهان شهيدى الوالى العام للتركستان

الشرقية رئيساً له. وكان هدف المعهد حتى سنة ١٩٦٠، استحداث لغة كتابة لشعوب الأقليات القومية في الصين. وقد دُعي عالم لغة روسي يُسمى سيرديو شنكو إلى هذا المعهد كمستشار.

وقد جاءت إلى تركستان الشرقية بعثة من أكاديمية العلوم الصينية في سنة ١٩٥٥، وبعد أن قامت بدراسات حول اللهجة الأويغورية.

صرحت بأنها لغة صعبة جداً، وهكذا فقد جاءت مجموعة من علماء اللغة إلى تركستان الشرقية من الصين المركزية فيما بعد هذا التاريخ. وقامت بالأبحاث الضرورية، وكان سيرديو شنكو عالم اللغويات المدعو من الاتحاد السوفيتي كمستشار، كان يضغط من أجل تطبيق أبجدية cirilik الروسية على قبائل الأتراك في تركستان الشرقية. وفي النهاية فقد اجتمعت لجنة لاتخاذ قرار باستحداث أبجدية جديدة من أجل الرعايا الأتراك في تركستان الشرقية في أوروبجي بين تاريخي ١٥، ٢٢ أغسطس ١٩٥٦. وبعد مباحثات طويلة ووفق على تطبيق الأبجدية الكيرلية الروسية من أجل الأويغور والقازاق والشيبوه.

ولكن مهما يكن من شيء، فإنه بالرغم من موافقة الصين الحمراء على أن يكون الأبجدية الكيرلية هي لغة الكتابة الرسمية لشعب تركستان الشرقية، فإنها قد امتنعت عن إظهار محاولاتها الضرورية من أجل تحقيق هذا، وعلى الوجه الأرجح فإن الصين الحمراء لم ترد أن تكون هناك لغة كتابة مشتركة بين الرعايا الأتراك في تركستان الشرقية والرعايا الأتراك

في الاتحاد السوفيتي. وذلك لأن الرعايا الأتراك في الاتحاد السوفيتي إذا لم يتبعوا اللغة التركية، فإنهم يستخدمون أبجدية الكيرلية. والنتيجة أنه في يناير ١٩٥٩ اجتمع المجمع اللغوي في أوروبجي للمرة الثانية وقرر استحداث لغة كتابة لاتينية تتفق وصوتيات اللغة الصينية، بدلا من الأبجدية العربية التي كان يستخدمها الرعايا الأتراك في تركستان الشرقية منذ ألف عام. (سينكيانغ جيه باو ١٧ ديسمبر ١٩٥٩).

وتذكر الجريدة المسماة سنكيانغ جيه باو ما يلي، في مقالة نشرتها في نفس التاريخ: «نظراً لأن أمور شعوب الأقليات القومية في الصين، وهي جزء من الشيوعية، فيجب أن يكون كل إجراء سيتخذ متوافقاً مع الشيوعية. ولا يكفي لشعوب الأقليات القومية أن تحقق شيوعية لغة كتابة وثورة ثقافية. ومن أجل هذا كان من الضروري تغيير لغة كتابة الأقليات القومية في الصين بلغة كتابة مطابقة للصوتيات الصينية.

ونظراً لأن الصين الحمراء كانت تعرف أن شعب تركستان الشرقية سيواجه هذا القرار برد فعل شديد، فلم تنسى أن تهددهم قبل ذلك، ونشر هذا البيان:

«إن عدم قبول الخطة المطابقة لصوتيات اللغة الصينية سيؤخذ على أنه تمرد ضد تحول أهالي سنكيانغ إلى الشيوعية والإشراكية. (سنكيانغ جيه باو ٨ ديسمبر ١٩٥٩)

وبهذه العبارة تعلن الصين الحمراء أن الذين يخرجون ضد هذه الخطة

سيعاقبون بشدة.

وهكذا اضطر الرعايا الأتراك في تركستان الشرقية بعد دراسات طويلة - إلى أن يتحولوا إلى الأبجدية اللاتينية التي كانت قد أعدت بطريقة مطابقة لصوتيات اللغة الصينية اعتباراً من أول أغسطس ١٩٦٦.

السياسة الثقافية

كان ينبغي إعداد كوادر للأقليات القومية من أجل إمكانية تحقيق الإصلاحات الإدارية والاجتماعية والاقتصادية في تركستان الشرقية ومن أجل هذا، فقد وافقت الصين الحمراء على قرار بخصوص الاعتراف أولاً بمسألة إعداد كادر من الأقليات القومية بتاريخ ١٩٥٨/٩/٢٨ وقد افتتحت مدرستان للحرف في تركستان الشرقية كتطبيق لهذا القرار. وقد تخرج من هذه المدارس عشرة آلاف طالب بين عامي ١٩٥٥، ١٩٥٢. وخلاف ذلك فقد افتتحت دورات حرفية في المدن والقرى أيضاً. وقد أنهى ستة وثلاثون ألف شخص من السكان المحليين للتركستان الشرقية تعليمهم في المدارس الحرفية هذه حتى سبتمبر ١٩٥٥، وعينوا في وظائف.

أما في سنة ١٩٥٦ فقد وصل هذا العدد إلى ٦١,٧٧٢، أما في سنة ١٩٦٥ فقد ارتفع هذا العدد إلى ١٠٦,٠٠٠، وإذا كنا سنأخذ الأخبار التي أمدتنا بها وكالة أخبار شينج بعين الاعتبار، فقد سجل عدد كوادر

الدولة المنتسبة لشعوب الأقليات، ارتفاع ٢٤٪ بالنسبة لسنة ١٩٦٥.

وطبقاً للقرار الموافق عليه من ذي قبل، وطبقاً لاستحداث مدارس بلغة ولهجات قومية في تركستان الشرقية، فقد كان يقترح تعلمها، وقد وُضع هذا البرنامج موضع التنفيذ اعتباراً من سنة ١٩٥٢ في تركستان الشرقية.

وقد افتتحت في تركستان الشرقية، بعد سنة ١٩٤٩ ثمانية مدارس عليا و٦٢٨ مدرسة إعدادية و١٣,٩٥٢ مدرسة ابتدائية.

وقد افتتحت جامعة، وبالإضافة إلى ذلك خمسون مدرسة فنية، و٤٦ مدرسة حرفية تدعى «٧ مايو». وطبقاً لما أعلنته إذاعة بكين، فإن عدد الطلاب الذين يدرسون في المدارس الحرفية التي تسمى ٧ مايو ٤٣٠٠ طالب.

ويشكل أطفال السكان المحليين نصفهم. ولقد صرحت مصادر الصين الحمراء أن ١٢٤٠ طالباً يدرسون في جامعة تركستان الشرقية في سنة ١٩٥٦. وطبقاً للمعلومات المستمدة في سنة ١٩٦٣ فإن عدد الطلاب الذين يدرسون في المدارس العليا في تركستان الشرقية يبلغ ٢١٠ ألف طالب.

وقد صرح ماوتسى تونج بأنه إذا أمسك الشيوعيون بالسلطة في أيديهم بالصين، فإنهم لن يجبروا الأقليات القومية على تعلم اللغة الصينية، وذلك في المجالس الستة الموسعة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني في سنة ١٩٣٨. والحقيقة أنه حتى سنة ١٩٦٦ فقد أجرى التعليم في

تركستان الشرقية فيما بين أترك الأويغور باللهجة الأويغورية، ولكن بعد الثورة الثقافية فقد أعلنت الصين الحمراء أن هذه الحركة قد أدت إلى تقوية التيار القومى بين الأقليات القومية. وقامت بتصيين التعليم تماماً فى المدارس الابتدائية والإعدادية والعليا، واليوم لا توجد مدرسة واحدة تقوم بالتدريس فقط باللهجات التركية بتركستان الشرقية. وبالرغم من ذلك، فقد أصبحت نسبة القراءة والكتابة بين أترك الأويغور اليوم تسعين فى المائة.

وقد ركز الشيوعيون على طبع كتب دعاية بأعداد كبيرة من أجل تعليم الأقليات القومية بأفكار الماركسية واللينينية بعد أن أمسكوا بزمام السلطة فى الصين. وبلغ عدد الكتب المنشورة على هذه الشاكلة فى تركستان الشرقية ٢٥٠ ألف كتاب فى سنة ١٩٥٢. وخلاف هذا فقد طبع فى الاتحاد السوفيتى ٥٠٠ ألف كتاب مخصصة فقط لسنة ١٩٥٦.

وفى مقابل ذلك فقد ألغيت كل الكتب ذات الموضوعات التاريخية والأدبية والدينية الموجودة فى تركستان الشرقية، اعتباراً من مايو ١٩٦٦. ولقد قام محمد أمين رئيس جامعة تركستان الشرقية بجمع الأدب الشفوى القديم والحديث الذى يخص أترك الأويغور فى ثلاثة عشر مجلداً وملكها للشعب. وقد أمرت الصين الحمراء بحرق هذا المؤلف القيم الذى جمع بعد سنين طويلة جداً، وذلك خلال الثورة الثقافية، وخلاف ذلك فقد حُفظت المخطوطات القيمة جداً، والتى تخص أترك الأويغور فى المكتبة القومية فى أوروبجى قبل عام ١٩٤٩ حُفظت وأُمنت من الدول الخارجية بمساعى مسعود صبرى بايقوزى ومحمد أمين بوغرا، وعيسى يوسف

آلب تكين. وخلال تلك الفترة فقد دُمّرت مئات الكتب التي تتعلق بالموضوعات القومية والدينية المحلوبة من أجل استفادة الشعب. وطبقاً لما ذكره تركي أويغوري يدعى يوسف خان الذي اضطر إلى اللجوء إلى الاتحاد السوفيتي لأنه لم يستطع أن يتحمل الظلم والعذاب في تركستان الشرقية في عهد قريب، في مقالة منشورة في جريدة «قازاقستان الاشتراكية» فإن الصين الحمراء قد دُمّرت تماماً أربعين شاحنة كتب في موضوعات قومية ودينية في تركستان الشرقية في ذلك العهد.

الصحافة والنشر في تركستان الشرقية

صدرت في تركستان الشرقية جريدة اسمها سنكيانغ، ويتم نشر هذه الجريدة باللهجة الأويغورية في ثمانية أماكن في تركستان الشرقية، وباللهجة القازاقية في أربعة أماكن، وباللغة الصينية في مكانين، وباللغة المغولية في مكان واحد. وخلاف ذلك، تصدر في تركستان الشرقية سبعة مجلات.

- ١- الأويغور، ٢- شباب سنكيانغ، ٣- آفا، ٤- جورانلي سنكيانغ المصورة، ٥- الأدب في سنكيانغ، ٦- أصول التربية في سنكيانغ، ٧- الزراعة.

وخلال ذلك، فإنه تنشر في بكين مجلة ذات حجم كبير مطبوعة طباعة جميلة ونظيفة تسمى (الشعب) وتطبع بعدة لغات، ونسخة منها

باللهجة الأويغورية.

ومع الأسف فإنه ليست بين أيدينا معلومات كافية عن دورة الجرائد والمجلات التي تصدر في تركستان الشرقية.

الإذاعة:

لم تكن في تركستان الشرقية محطة إذاعة حتى سنة ١٩٤٧، وقد تأسس أول إذاعة بفضل مساعي مسعود صبرى بايقوزى و محمد أمين بوغرا وعيسى يوسف آلتكين. واعتباراً من هذا التاريخ بدأ شعب تركستان الشرقية يشعر بالأحداث التي في وطنه وفي العالم، وعُينت السيدة (رسالة) التي كانت محررة من إذاعة نشریات الآلتای التي أسسها عيسى يوسف آلتكين بك، كمذيعة في إذاعة أوروبجى لأول مرة، تلبية لرغبة عيسى يوسف آلتكين وأسمعت صوتها للعالم. ومن المعروف أن السيدة رسالة ظلت معنية في إذاعة أوروبجى حتى سنة ١٩٥٥.

وقد أعطت الصين الحمراء أهمية كبيرة للنشريات الإذاعية بعد أن ظهر الكتاب الأحمر لماوتسى تونج، لدرجة أن الشعب قد اشترى أجهزة راديو ذات الموجة القصيرة بأسعار رخيصة جداً حتى يتمكنوا من تتبع نشریات إذاعة أوروبجى وبكين. وكانت هذه الأجهزة تباع بحوالى ١٤ - ١٢٥ يوان.

ونخلاف ذلك فقد أسست حكومة الصين الحمراء مجهاراً ذا قناة

واحدة للمراكز والقرى مثل مثيلاتها المؤسسة من قبل البلد في الأناضول ، وحتى سنة ١٩٦٥ كان يوجد ٥١ ألف مجهر التي أسست على هذه الشاكلة في تركستان الشرقية، وقد وصل هذا الرقم إلى ٨١٩ ألف حتى سنة ١٩٧٦ .

الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية

لقد شجعت الصين الحمراء أيضاً الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية جنباً إلى جنب مع الإصلاحات الإدارية في تركستان الشرقية، ولقد تم تشجيع الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية في دول الأقليات القومية على مرحلتين:

(أ) الإصلاح الديمقراطي:

كان هدف حركة الإصلاح هذه والتي تم تنفيذها تحت اسم الإصلاح الديمقراطي، هو تحقيق إصلاح الأراضي، وإنهاء الظلم والاستبداد.

(ب) الإصلاح الاجتماعي:

كان هدف هذا الإصلاح هو إنهاء الملكية الخاصة، وتحقيق نظام الملكية الاجتماعية (الاشتراكية) الجماعية وتمليكها كلها للشعب.

(ج) الإصلاح الزراعي:

لقد أجازت الصين الحمراء تنفيذ نظام الضريبة «المرجحة» في تركستان الشرقية قبل وضع الإصلاحات التي عددناها آنفاً موضع التنفيذ، وكان الهدف هو تقسيم سكان تركستان الشرقية الأتراك المسلمين إلى أقسام مثل الغنى والفقر، وأصحاب الأرض والذين بلا أرض، والبرجوازيين والبروليتاريات، واستعدادهم ضد بعضهم البعض، والقضاء على إحساسهم القومي ووحدهم وتضامنهم. ولقد أعطت الصين الحمراء مهمة جمع الضرائب خاصة للسكان الفقراء والطبقة الوسطى حتى يجيزوا تنفيذ نظام الضريبة المرجحة، وكأن الغزاة الذين جاءوا من الخارج واستعمروا شعب تركستان الشرقية منذ قرنين، حتى رقابهم، لم يكونوا هم المانجو صينيين أو الصين القومية أو الصين الشيوعية، بل كانوا هم السكان المحليين أنفسهم.

وبالرغم من الأراضي الواسعة في تركستان الشرقية (١، ٨٢٨، ٤١٨ كم مربع) فقد كان تعداد سكانها طبقاً للرقم الذي صرحت به الصين الحمراء في سنة ١٩٥٠، خمسة ملايين نسمة، وكانت نسبة الشيوعيين قليلة ١٩٤٤/٣/٢١ وكانت أفقر العائلات التركستانية الشرقية تملك أرضاً تقدر بحوالى خمسة أو عشرة هكتارات. وكانت هذه تكفى إحتياجاتهم وإعاشتهم وبالرغم من ذلك كانت الصين الحمراء تهجم على ملاك الأراضي، والتي كانت قد سمّت سكانها الذين بلا أرض. وتخلت الصين الحمراء عن اغتصاب أراضي تركستان الشرقية بالذات.

وكانت تعرف أن هذا سوف يفتح الطريق أمام رد فعل شعب تركستان الشرقية: فقراء وطبقة وسطى وأغنياء. ذلك لأن شعب تركستان الشرقية كان يتحد دائماً ضد القوات الغازية التي جاءت من الخارج. ورأت أنه من المناسب أكثر لسياستها أن تستعدى السكان المحليين ضد بعضهم لأن هدفها كان ضرب هذا التضامن الذي بين شعب تركستان الشرقية، كما أوضحنا من قبل. وكنتييجة لهذه الحركة التي كانت الصين الحمراء قد بدأتها تحت قناع إصلاح الأرض بتاريخ ١٩٥١/٦/٣١، فقد تم تأمين كل هذه الأراضي في البداية. ولكنها في النهاية بدأت توزعها، وقد قامت الصين الحمراء بتوزيع الأراضي على هذا النحو:

أ- أراضي الطبقة الأولى: وقد خصصت لجيش التحرير الشعبي الصيني.

ب- أراضي الطبقة الثانية: وقد خصصت للمهاجرين المجلوبين من الصين الحمراء.

ج- أراضي الطبقة الثالثة: وقد وزعت على شعب تركستان الشرقية.

ولكن الصين الحمراء بدأت العمل اعتباراً من سنة ١٩٥٨ على أن تقوم بتوحيد أراضي الطبقة الثالثة الموزعة على شعب تركستان الشرقية في صورة تعاونيات تحت ستار إصلاح الأراضي. وفقد السكان الذين وصلوا إلى وضع الموظفين في التعاونيات، ملكية بيوتهم وحدائقهم ومزارعهم إثر ذلك. وفيما بعد، تحول السكان إلى المستعمرات الشيوعية، وكثر سكان تركستان الشرقية الذين أصبحوا ضد هذه المستعمرات، وبدأوا الهجوم

على المدن، ولجأت الصين الحمراء هذه المرة إلى الشدة، واجتهدت لمنع هجوم السكان على المدن ومنع تركهم المعسكرات بالقوة، واتهمت قرويوها وعمال التركستان الشرقية الذين لم يريدوا العمل في المعسكرات بأنهم عناصر مضاد للثورة وخُدّام الرأسماليين.

وعُمل على تطوير الزراعة التي كان نصيبها ٢,٧٦٣,٠٠٠ هكتار في تركستان الشرقية حتى سنة ١٩٦٥. وقد طُورت هذه المجهودات بعد سنة ١٩٦٦ أى بعد الثورة الثقافية. وقد تم تحقيق ٢٠٠٠ مشروع نتيجة المجهودات المتواصلة التي بذلت باشتراك ١,٥ مليون فرد في تركستان الشرقية بدءاً من شهور الشتاء سنة ١٩٧٥، وذلك طبقاً للمعلومات المستمرة من المصادر الشيوعية الصينية. وقد استصلحت مائتا ألف هكتار. وخلاف ذلك فقد استصلحت ستة وستون ألف هكتار من الأرض في تكلامكان التي من المتفق أنها كانت واحدة من أخطر الصحراوات في العالم. وحولت مساحة ٢٠٠٠ كيلو متر مربع - خلاف ذلك - من صحراء تاكلامكان إلى واحات كاملة. وقد حفرت القنوات بطول ٧٨٠ كيلو متراً لمد هذه الواحات بالماء. وكان مقدار الحبوب المتحصلة في سنة ١٩٧٥ في تكلامكان التي استصلحت للزراعة ٤٤٧,٥٥ كيلو جراماً، وطبقاً لما صرحت به المصادر الصينية، فقد زادت الحبوب المتحصلة في سنة ١٩٧٣ في تركستان الشرقية، وأظهرت ارتفاعاً بنسبة ٣,٥ بالمقارنة بعهد ما بعد سنة ١٩٦٥.

ومن الممكن - اليوم - رى تسعين في المائة من المساحات الزراعية

في تركستان، ذلك أنه قد تم حفر ٢٠٠٠ خزان للمياه، و ٨٠٠ بئر في تركستان الشرقية قد تمت مكينتها، وأن باقياها سيتم مكينته ايضاً حتى سنة ١٩٨٠.

القطن:

تشكل النباتات الصناعية واحداً من أهم العناصر في الحياة الاقتصادية لأتراك الأويغور، ويزرع القطن بصورة أكثر في تركستان الشرقية، في حوض جونغاريا ومنخفضات طورفان وكاشغر، وطبقاً لما كان مسجلاً حتى سنة ١٩٤٤، فقد كان القطن يزرع في مساحة تقدر بـ ١٦٢,٠٠٠ هكتار في تركستان الشرقية، أما الآن فإن القطن لا يزال يزرع فقط في مساحة تقدر بـ ٥٢٨,٠٠٠ هكتار في منطقة كاشغر فقط. ولا يزال يزرع ثلث القطن اليوم في هذه المنطقة في تركستان الشرقية كلها.

تربية الحيوانات:

لقد سلكت الصين الحمراء طريقاً مختلفاً تماماً عن السياسة التي طبقتها تحت مسمى «سياسة الضريبة المرجحة وإصلاح الأراضي»، وذلك في مجال تربية الحيوانات في تركستان الشرقية، وقامت بحماية أصحاب الحيوانات حينما أوعزت إلى الفقراء وأفراد الطبقة الوسطى بالهجوم على الأغنياء وأصحاب الأراضي في قضية الضريبة المرجحة وإصلاح الأراضي، وذلك فيما يخص تربية الحيوانات. ومن الطبيعي أن لهذا عدة أسباب، أولها أن الصينيين لم يكونوا يفهمون كثيراً في تربية

الحيوانات، ولهذا فقد استخدمت الصين الأسلوب التي طبقته من أجل إصلاح الأراضي، واغتصبت الأراضي من السكان المحليين، ولم تكن ترى فائدة من إعطائها للصينيين. وثانيها أنها كانت تريد تطوير تربية الحيوانات عن طريق ترك الحيوانات في أيدي سكان تركستان الشرقية. وثالثها، أن هذه الحيوانات إذا كانت ستغتصب، فإن سكان تركستان الشرقية ربما كانوا يمتنعون عن إعطائها للصينيين؛ ورابعهما أن الصين الحمراء كانت تشتري مستلزماتها من أجل التصنيع من الخارج، وفي مقابل هذا فقد كانت تفكر في تربية الحيوانات. وهكذا، ومن أجل هذا فقد اختارت الصين الحمراء طريق اغتصاب الحيوانات التي كان يمتلكها سكان تركستان الصينية ببطء بشرائها عن طريق الجمعيات التي أقحمت على مناطق الشعب بسعر ثابت.

وليس من المعروف اليوم عدد الحيوانات الموجودة في تركستان الشرقية، ولكننا إذا كنا سنضع الأنباء التي صرحت بها إذاعة بكين في ١٠/١٠/١٩٧٦، فقد أضيفت أيضاً سبعة ملايين رأس شاه إلى عدد الحيوانات الموجودة في تركستان الشرقية في النصف الأول من سنة ١٩٧٦، وولدت ١٢٠ ألف مهر، طبقاً للمعلومات المستمدة، وتم تأمين ٩٩٪ من الحيوانات المولودة في تركستان الشرقية اليوم حتى تظل على قيد الحياة.

الصناعة:

كانت الصين الحمراء تريد إظهار الاهتمام بمجال الصناعة مثلما

أظهرته في تأسيس مناطق الحكم الذاتي، وفي تحقيق إصلاح الأراضي، كما كانت تريد أن تضع هذا موضع التنفيذ تحت ستار توصيل شعوب الأقليات القومية المتخلفة إلى مستوى الأمم المعاصرة. وأعلن الشيوعيون بعد استيلائهم على السلطة في الصين، أن سكان تركستان الشرقية كانوا شعباً متخلفاً، والحقيقة أنه كان في هذا نصيب من الصحة. فقد أهملت تركستان الشرقية تماماً في العهد المانجو صيني وعهد الصين القومية واغتصبت ثروة الأمة والشعب، وحملت إلى الصين المركزية، وكانت تركستان الشرقية في الأصل أمة غنية بثرواتها تحت الأرض وفوق الأرض. ومن أجل هذا فقد كان يجب تحويل تركستان الشرقية إلى دولة صناعية طبقاً لرأى الصين الحمراء. ولكن لم يكن هدف الصين الأساسي هو توصيل سكان تركستان الشرقية إلى مستوى الأمم المعاصرة، ورفع مستوى حياتهم. بل على العكس، فقد كانت تتخذ من تطوير الصين كلها هدفاً. وكانت تركستان الشرقية ستخدم هدف الصين الحمراء هذا بثرواتها ومجهود شعبها، وإذا كان يجب علينا أن نعطي مثلاً لذلك، فقد صرحت الصين الحمراء أنه قد استخرج ٢٥٠ ألف طن من الصلب في تركستان الشرقية فقط في هذا الوضع فإن نصيب كل فرد يكون ٥٠ كيلو جراماً، ولكننا إذا كنا سننظر إلى الصين ككل، فإن نصيب الفرد يكون أقل من ١٥ كيلو جراماً. وليست هناك أية فائدة مادية لشعب تركستان الشرقية من كون تركستان الشرقية بلداً صناعياً، ذلك لأن عدد سكان الصين الحمراء كان يرتفع بسرعة شديدة، ومع تطور الصناعة في تركستان الشرقية، فإن هذا يعني هجوم المهاجرين الصينيين على تركستان الشرقية.

وعلى سبيل المثال فقد كان عدد المهاجرين الصينيين المجلوبين إلى تركستان الشرقية في عام ١٩٦٨، ٢,٦٠٠,٠٠٠ مليون. أما في سنة ١٩٧٤ فقد وصل عدد المهاجرين الصينيين المجلوبين إلى تركستان الشرقية إلى ٤ مليون، واحتمال صحة هذا الادعاء كبير جداً، وذلك لأنه طبقاً لتقدير هيئة التعداد الهندية، فقد ارتفع عدد الصينيين في تركستان والذي كان ١/٥٪ في سنة ١٩٤٩ إلى ٤٥٪، أما في سنة ١٩٧٠ فقد وصل إلى ٥٠٪. وارتفاع هذا الرقم حتى اليوم محتمل جداً، وخلاف ذلك فقد أعلنت صحافة الصين الحمراء أن ثمانية مليون طالب صيني المطرودين من المدارس الصينية بين عامي ١٩٦٩ و ١٩٧٣ قد تم نفيهم إلى دول الأقليات القومية. واستقرار قسم كبير من هؤلاء الطلاب في تركستان الشرقية، مسألة محتملة.

وخلاف ذلك فقد كان عدد سكان أوروبجي ٨٠ ألفاً قبل أن تستولي الصين الحمراء على أراضي تركستان الشرقية. أما في عام ١٩٧٠ فقد أصبح ٨٠٠ ألف، وأكبر مدن تركستان الشرقية بعد أوروبجي هي بالترتيب كاشغر (١٤٠ ألف طبقاً للرقم المعلن في سنة ١٩٦١) وإيلي (٨٥ ألف طبقاً للرقم المعلن في سنة ١٩٥٨) وقره ماى التى كانت مركزاً صغيراً حتى سنة ١٩٥٠ (٤٠ ألف طبقاً للرقم المعلن في سنة ١٩٥٨) وقره ماى اليوم واحدة من أهم مراكز البترول بالصين.

ومثلما سيُفهم من الأرقام المعلنة آنفاً فإن أتراك الأويغور يشكلون ٧٥٪ من عدد سكان تركستان الشرقية حتى سنة ١٩٥٣، وتشكل

أتراك القازاق نسبة ١٠٪ والصينيون ٦٪، وتشكل القوميات الأخرى ما تبقى. ولكن هذا الرقم ارتفع إلى ٤٤,٣٪ بعد سنة ١٩٥٥، وبدأ أتراك الأويغور ببطء يكونون أقلية، بالنسبة للمهاجرين المحليين من الصين.

ويوجد اليوم في تركستان الشرقية كلها ٣٨,٥٠٠ مصنع وأتيليه (المرسوم) وورشته. وبعد سنة ١٩٦٦ أى بعد الثورة الثقافية فقد افتتح تسعمائة مصنع من الحجم الكبير والحجم الصغير في تركستان الشرقية. وينفذ الآن ألف نوع من الصناعات في هذه المصانع، ومن المتفق عليه أنه يوجد الآن في أوروبجي وإيلي وقره ماى وهى مراكز للصناعات الثقيلة، وفي كل مدينة ومركز خارج كاشغر مصانع للأسمت والسيارات وقطع الغيار.

وسجل إنتاج المنطقة زيادة قدرها ٨٩٪ في عام ١٩٧٣ بالنسبة لسنة ١٩٥٤ وذلك فيما يخص الفحم والحديد والنحاس والأسمت والغزل والنسيج.

وكان ينتج في تركستان الشرقية كهرباء قوتها ٢٨ ألف كيلو وات في سنة ١٩٤٢ (مارتين.س. نوريتز : سيكيانج بوابة لآسيا، نيويورك ١٩٤٤، ص ١١٨) واليوم قد تمت كهرة ٩٠٪ من تركستان الشرقية، ولقد أضيفت أيضاً ١١٥ سنترال إلى السنترالات الهيدروكهربية في تركستان الشرقية فيما بعد سنة ١٩٦٦. وتوجد مراكز الصيانة والورش بإثنين وثمانين مركزاً ضمن الأربع والثمانين مركزاً الموجودة في تركستان

الشرقية. ويتم إصلاح الجرارات والسيارات في هذه الورش.

ويوجد في أوروغجي التي هي عاصمة تركستان الشرقية ثلاثة عشر مصنعاً واحد منها للصلب ومصنع جرارات، وخلاف ذلك يوجد عشرون مصنعاً تنتج الصلب والحديد في تركستان الشرقية، ويتم في هذه المصانع، إنتاج خمسين نوعاً من الكربون، والصلب العادي وثلاثمائة نوع من الصلب المطوي.

ردود الفعل لدى شعب تركستان الشرقية التي أظهرها إزاء هذه الإصلاحات:

أظهر الشعب التركي المسلم بتركستان الشرقية ردود فعل شديدة ضد السياسة الاشتراكية الاقتصادية للصين الحمراء. ونتيجة لهذا، حدثت ثورات مسلحة بمرور الوقت، ولم يستطع الإعلام الصيني أيضاً إخفاء هذه الثورات. وكان سيف الدين عزيزي حاكم تركستان الشرقية قد قال في حديث ألقاه في المجلس الشعبي القومي في ١٩٥٥/٧/٢٦ أنه كان يؤمن بضرورة التحرك لمواجهة والقضاء على الثورات، كما كان قد صرح في سنة ١٩٥٤ أن الشعب كان يقوم بمساعي ثورية في مدينة خوتن بتركستان الشرقية.

وقد اشترك ستون ألف شخص في هذه الثورات القومية التي كانت قد بدأت في خوتن تحت قيادة أم تركية مسلمة تدعى «باشا هانم»، واضطرت الصين الحمراء لجلب المساعدات من منطقتي أوروغجي وكاشغر،

ذلك من أجل القضاء على هذه الثورة.

وحدثت ثورة ثانية تحت قيادة أحد العلماء القوميين والذي كان يدعى «عبد الحميد دام الله» في ١٩٥٦/٩/٧، في نفس المنطقة مرة أخرى، وذلك قبل إخضاع هذه الحركة الثورية التي كانت بزعامة باشا هانم.

وفي ١٩٥٦/٩/٧ صرحت الجريدة القومية المسماة موانج مين جيه باو بأن السكان المعارضين لتغيير الأبجدية العربية في تركستان الشرقية قد بدأوا المقاومة المسلحة في كل مكان.

وفي ١٩٥٦/٩/٢٥ صرحت الجريدة المسماة سيكينانج جيه باو أن الثورات قد ظهرت مرة أخرى في خوتن وأجوارها، وقد تعرضت نفس الجريدة للإجراءات التي اتخذتها الحكومة الشيوعية التي كانت ضدهم وضد الثورات في تركستان الشرقية، وذلك في عددها الصادر بتاريخ ١٩٥٧/١٠/١٦، وكتبت ما يلي:

«سوف يتم إعداد برنامج لعملية تطهير على نطاق واسع، وسوف يبدأ في فصل الشتاء القادم، وسوف يستمر في الربيع من أجل التخلص من العناصر القومية».

وألقى سيف الدين عزيزي الوالي العام للتركستان الشرقية حديثاً في سبتمبر ١٩٥٧، قال فيه: «إن الأقليات القومية تعمل على تقوية

الحركات القومية المحلية خاصة بين المثقفين، في تلك الفترة التي تحولنا فيها إلى الاشتراكية.

وانتشرت إلى حد كبير تصرفات مثل حركة المواجهة ضد الصينيين منذ سنوات ماضية، والنظر بعين الأجنبي للصينيين انتشرت بين السكان المحليين وبين المثقفين، وكان بعض القوميين المغالين يعملون على طرد وإخراج الصينيين من سنكيانغ، وطبقاً لرأيهم فإنهم قد جلبوا المصائب على سنكيانغ. وينظر بعض الإنخزاميين إلى الصين بعين «الدولة المستعمرة».

ويروى أحد الكتاب الذين اضطروا للهجرة إلى الاتحاد السوفيتي من تركستان الشرقية، حديث سيف الدين عزيزي هذا، كما يلي:

لقد أغلقت المدارس الأويغورية في سنة ١٩٥٧، وتم تحريم الكتب الأويغورية، وشُنَّت هجمات شرسة على المثقفين، ولقد اتهمت بالقومية وقدموني إلى معسكرات Tecrid دون محاكمة، وأمرتُ بالعمل هناك ثمان عشرة ساعة في اليوم، والنتيجة أنني لم استطع أن أتحمل، وهربت.

وكانت الصين الحمراء قد أعلنت أصلاً - شعار - «فلتفتح الأزهار اليوم» و«لتغرد كل الطيور» في تركستان الشرقية في شهر مايو سنة ١٩٥٧ - وكان الهدف من ذلك هو معرفة أفكار شعب تركستان الشرقية وأفكار المثقفين. وطبقاً لهذا الشعار، فقد قام شعب تركستان ومثقفوه بسياسة الدمج والتحول للشيوعية التي فرضتها الصين الحمراء في

تركستان الشرقية تحت اسم الإصلاح، وذلك بكل وضوح، وكشفها.

وبدأ المسئولون بالصين الحمراء - والذين عرفوا النية الحقيقية للشعب والمثقفين - بدأوا يقومون بحركات تصفية وإبادة كبرى. وفي المرحلة الأولى قام المسئولون الصينيون بإلقاء ١٨٣٠ شخصاً في السجون منهم المثقفون والموظفون والطلاب والعمال والفلاحون، وحيكت لهم الاتهامات وعلى رأسها «القوميون المحليون» و«العناصر الفاسدة» و«مقسموا الوطن» و«القمامة المسممة» و«خصوم الثورة». وكان يوجد مثقفون مثل إبراهيم طوردى وعبد الرحيم عيسى، وعبد الرحيم سعيدى وعبد العزيز قارى، الذين أنجبتهم تركستان الشرقية من بين المأخوذین للسجون.

أما الجريدة المسماة سيكينانج جيه باو فقد صرحت في ١٩٥٨/٨/٢٥ أن شعب تركستان الشرقية الذى لم يرد تعلم المادية اللهمجية قد ثار، وطبقاً لما كتبه الجريدة، فإن العناصر المناوئة للثورة والتي اختبأت دخل الحزب قد حرضت السكان المحليين على الحكومة.

ولم تخف نفس الجريدة في ١٠ أكتوبر ١٩٥٨ أن جيش تحرير الصين الشعبى قد قضى على العناصر المحرضة على التمرد. وهذا ليس تمرداً عادياً، أصلاً بل على العكس فقد كانت ثورة قومية لشعب تركستان الشرقية.

ولم تتوقف في أى وقت، الثورات القومية التي قام بها شعب تركستان

الشرقية ضد سياسة التصفية والتصيين والتشيع للصين الحمراء، وعلى سبيل المثال فقد ثار شعب كاشغر ضد حكومة الصين الحمراء في ١٩٥٩/٥/٢٠ وقد بدأت هذه الثورة على هذا النحو: أراد السكان المحليون في نفس السنة في عيد الأضحى أن يفتحوا باب جامع عيدكاه الذى كان مغلقاً منذ مدة، وذلك بهدف أداء صلاة العيد في عيدكاه الذى كان جامعاً أثرياً في تركستان الشرقية. ولكن مسئولى الصين الحمراء رفضوا ذلك. وبناءً على هذا، فقد كسر سكان كاشغر الذين تملكهم الغضب - القفل ودخلوا، ووقفوا للصلاة، وفجأة بدأ جنود الصين الحمراء - اللذين هجموا على الجامع - يطلقون النار على المصلين وبناءً على هذا، فقد هجم كل السكان بما أحضروه من أسلحة في أيديهم مثل الفأس والمعول والجاروف والسكين على جنود الصين الحمراء وعلى المباني الحكومية والقلاع العسكرية. وأرسلت حكومة الصين الحمراء إلى كاشغر هالونج قائد الشمال الغربى من جيش تحرير الصين الشعبية وسيف الدين عزيزى الوالى العام للتركستان الشرقية بهدف إمكانية قمع التمرد، ولكن لم يكن من الممكن القضاء على الثورة القومية. وانسحب القوميون إلى الجبال، وأصبحوا قوة كبيرة بانضمام السكان المجاورين إليهم، وناوأو الوحدات الصينية الحمراء عامين.

وانتقلت هذه الثورة أيضاً إلى الصحافة الأجنبية، فقد صرحت جريدة لوموند في ١٩٥٦/٦/٩ أنه قد قامت ثورة ضد الصين الحمراء في مدينة كبرى تقع جنوب غرب تركستان الشرقية، وطبقاً لما كتبه الجريدة،

فإن السكان الثائرين ضد حكومة الصين الحمراء قد أطلقوا سراح المتهمين في السجون المجاورة، وقتلوا ما يقرب من خمسين جندياً صينياً. وطبقاً لما كتبه لوموند فقد اشترك في الثورة عشرة آلاف شخص.

وقد استمرت حركات الصراع القومي لشعب تركستان القومية بمنتهى الشدة بعد سنة ١٩٦٠، وقد حدثت أهم ثورة في إيلي في الستينات، في ٢٦/٥/١٩٦٢، وقد بدأت هذه الثورة على هذا النحو: طلب شعب إيلي بتركستان الشرقية - التي لم يستطيع تحمل سياسة الصين الحمراء في التصفية والتصيين - السماح له بالهجرة إلى الاتحاد السوفيتي طبقاً للمثل الذي يقول: «الذي يسقط في البحر يلتف حول الثعبان». وإذا كان الحكام الصينيون قد قالوا إنهم يستطيعون الذهاب إلا أنهم قد أعادوهم من على الحدود في ٢٩/٥/١٩٦٢، ووصل السكان العائدون إلى إيلي مرة ثانية أمام مبنى الحكومة، وطلبوا من المسؤولين تنفيذ الوعد الذي كانوا أعطوه في البداية، وأن يسمحوا لهم بالهجرة إلى الاتحاد السوفيتي، ولكن أطلقت النيران فجأة على السكان من الوحدات الصينية الحمراء المستقدمة إلى هناك لمهمة حماية مبنى الحكومة التي لم تبدِ أي رد فعل، وخلال خمس دقائق استشهد المئات من الأبرياء بنيران البنادق الآلية التي أطلقت عن اليمين واليسار ومن الأمام. وقد أثار هذا الوضع فجأة سكان إيلي كلها وما جاورها، وقد هجم الخلق الذي أمسكوا بسلاحهم على وحدات الصين الحمراء، ومبنى الحكومة، وعلى كل مكان وُجد به صينيون. واضطر مسئولوا الصين الحمراء - الذين رأوا خطورة الموقف

- إلى طلب العون من أوروبجي. وكنتيجة لذلك انهزم القوميون أمام
الوحدات الصينية الحمراء التي كانت متفوقة عليهم في السلاح.

والأمثلة التي ذكرناها آنفاً هي جزء من صراعات الاستقلال التي
خاضها شعب تركستان الشرقية، ضد سياسة التصفية والتصيين التي
انتهجتها الصين الحمراء تحت ستار الإصلاح فقط، في بلدانهم، وفي
نفس الوقت من أجل التخلص من سيطرة المستعمرين بالصين الحمراء
تماماً.

وطبقاً للمعلومات التي أمدنا بها صحفيوا العالم الحر الذين وجدوا
فرصة إمكانية زيارة تركستان الشرقية مؤخراً، وشهود العيان الذين لجأوا
إلى العالم الحر في الأعوام الأخيرة، فإنه حتى الآن، لازالت المقاومة
القومية لشعب تركستان الشرقية مستمرة حتى الآن، ولا توجد أية شبهة
في أنها سوف تستمر إلى الأبد، وذلك لأن هناك وطن مستولى عليه
بقوة غازية غالبة، وهناك أمة مسحوقة بواسطة أمة صينية، وهناك أمة
تدافع عن أن تركستان الشرقية ليست أرضاً صينية، وهناك أمة تدافع عن
تركستان الشرقية أنها جزء لا يتجزأ من الصين. وهناك أمة تريد أن تمتص،
وهناك أمة لا تريد أن [تقتص]. وهناك أمة تعمل على حماية نفسها ضد
سياسة التعصب الصينية.

وهناك أمة مُستعمرة، وهناك أمة مستعمرة. وأهم ما في الأمر، هو
أنه هناك مجتمع شعبي يمتلك كل الظروف الضرورية من أجل إمكانية

تقرير مصيره بنفسه كدولة وكأمة موجودة اليوم، وحتى قد وافق على هذا ستالين فترة من الوقت. وإذا كان ستالين قد عقد تحالفاً مع الصينيين قبل تفويض الثورات لشعب تركستان الشرقية في عامي ١٩٣١، ١٩٤٤، وقبل تفويض الجمهوريات المعلنة فإنه طبقاً لنظريته، فإن ما يلزم من أجل أن تكون تركستان الشرقية دولة مستقلة تقرر مصيرها بنفسها هو:

أ- أن توجد لها حدود مباشرة مع الدول الأجنبية.

ب- أن يوجد لها باب للخروج إلى الدول الأجنبية.

ج- أن يكون لها مجتمع يتحدث لغة واحدة، وبشكل الغالبية العظمى.

د- أن يكون هذا المجتمع مرتبطاً ببعضه من النواحي المادية والمعنوية.

ولكن بالرغم من كل هذا، فإن الصين الشيوعية التي أعلنت حلو الكلام «أنها حامية الشعوب المسحوقة»، وأنها ضد الاستعمار- لا تتوى التخلي عن آمالها الإستعمارية في تركستان الشرقية ولهذا، فإن صراع شعب تركستان الشرقية سوف يستمر إلى الأبد.

القسم السابع

أتراك الأويغور في الاتحاد السوفيتي

إن الغالبية العظمى من أتراك الأويغور في الاتحاد السوفيتي يعيشون في جمهوريات قازاقستان، وأوزبكستان، وتركمنستان، وقيرغزستان. وقد اضطر أتراك الأويغور هؤلاء الذين هم في الأصل تركستانيون شرقيون - إلى اللجوء إلى أراضي الاتحاد السوفيتي اليوم عقب الحروب التي قامت بها تركستان الشرقية مع الغزاة بعد تعرضها للغزو المانجو صيني. وتذكر المصادر التاريخية أنه قد لجأ إلى أراضي الاتحاد السوفيتي اليوم من أتراك الأويغور خمسون ألفاً بعد ثورة أوج تورفان في عام ١٧٦٣، وتسعون ألفاً بعد ثورة كاشغر وباركند ١٨١٩-١٨٢٦، وسبعون ألفاً بعد ثورة كاشغر ١٨٣٠، وستون ألفاً بعد ثورة كاشغر وينكي حصار ١٨٤٦، وخمسة عشر ألفاً بعد ثورة كاشغر ١٨٥٥، وثمانون ألفاً بعد ثورة كاشغر مرة أخرى ١٨٦٣.

ونخلاف ذلك فقد هاجر ٤٥,٣٧٣ شخصاً داخل حدود الاتحاد السوفيتي اليوم، من ولاية إيلي بتركستان الشرقية بين عامي ١٨٨١،

١٨٨٣. ويذكر المؤرخ القازاقستاني الشهير جوقان وليخان، بصورة تؤيد المعلومات المذكورة آنفاً أن سبعين ألف تركي أويغوري قد هاجروا إلى خوقند، ومدن شهر خان، وإلى وادي فرغانة في سنة ١٨٢٥، ويذكر في النهاية أن عددهم كان قد وصل إلى ثلاثمائة ألف.

وخلاف ذلك فقد اضطر الآلاف من أتراك الأويغور إلى اللجوء إلى الاتحاد السوفيتي في العهود التالية بعد أن تعرضت تركستان الشرقية لغزو الصين الشيوعية في سنة ١٩٤٩، وعلى سبيل المثال فقد لجأ ستون ألف شخص من ولاية إيلي سنة ١٩٦٢ إلى جمهورية كازاخستان، وطبقاً لما أمدتنا به الصحيفة المسماة «بريد الصباح لجنوب الصين» التي تصدر باللغة الإنجليزية في هونج كونج، في عددها الصادر بتاريخ ١٩٧٤/١٠/٢ فقد لجأ شعب الجمعيات - بناحية قوم آريق المرتبطة بولاية أقصو بتركستان الشرقية - بأكمله إلى جمهورية قيرغيزستان. وبالرغم من أن أعداد السكان في المعسكرات، مختلفة فإنه طبقاً لما ذكره إخواننا الذين جاءوا إلى تركيا مؤخراً من تركستان الشرقية. أنه يوجد على الأقل من خمسة إلى عشرة آلاف شخص في المعسكر وكما سيفهم من الأرقام المذكورة، فإنه عندما ينبغي أن يوجد اليوم ما يزيد على خمسمائة ألف تركي أويغوري في الاتحاد السوفيتي فإنه يصرح بأنه يوجد ١٧٣ ألف تركي أويغوري في إتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية وذلك طبقاً للإحصائيات الرسمية المعلنة في سنة ١٩٧٠. ولا تؤيد المعلومات الإحصائية - المعلنة في عهود مختلفة في الاتحاد السوفيتي - بعضها،

ذلك أنه طبقاً لتعداد السكان المعلن في سنة ١٨٩٧، فإنه يصرّح بأنه كان يوجد ١٠٢,٠٠٠ تركي أو يغوري في الاتحاد السوفيتي، و ١٣٨ ألف في سنة ١٩١١، و ١٠٨ ألف في سنة ١٩٢٦، ومائة ألف في سنة ١٩٣٩، و ٩٥ ألف في سنة ١٩٥٩، أما في سنة ١٩٧٠ فكان ١٧٣ ألف.

والمعلومات التي صرح بها المسئولون السوفيت في هذا الصدر ليست مطمئنة، وطبقاً لتعبيراتهم، فإن أتراك الأويغور الذين يعيشون في الاتحاد السوفيتي قد استوعبوا بمرور الزمن، وإذا كنا سننظر في أصل المسألة، فإن سبب زيادة سكان أتراك الأويغور في الاتحاد السوفيتي، ونقصها ثم زيادتها مرة أخرى، متعلق بالسياسة السوفيتية الصينية، ذلك أن الاتحاد السوفيتي والصين القومية أو الصين الحمراء قد عملت على إظهار أعداد أتراك الأويغور في أقل نسبة ممكنة في العهد التي تتصادقان فيها.

وبنسبة كبيرة عندما تسوء ذات البين، وعلى سبيل المثال أصبح الآلاف من أتراك الأويغور ضحية لستالين في الاتحاد السوفيتي خلال الزيارة التي قام بها (شين شى شاي) الوالي العام للتركستان الشرقية، وذلك لأنه لا زال يوجد أكثر من ستين مدرسة تقوم بالتدريس بلهجات أتراك الأويغور في الاتحاد السوفيتي اليوم، وطبقاً للمعلومات الموجودة بين أيدينا، فإنه يدرس في المدارس الابتدائية في كل صف حوالي ثلاثة آلاف طالب، وفي المدارس الإعدادية ١٥٠٠ طالب. (مذكرات كندية سلافونية، المجلد السابع عشر، ٢-٣، ١٩٧٥) وقد أعدت الكتب في

المدارس الابتدائية والإعدادية باللهجة الأويغورية، وفي مقابل ذلك فإن التدريس في المدارس الابتدائية والإعدادية في تركستان الشرقية باللغة الصينية وتُدْرَس اللغة الأم لأتراك الأويغور كلغة مساعدة وتبلغ كمية الكتب المدرسية المطبوعة باللهجة الأويغورية والمخصصة لسنة ١٩٧٦، ١٣٠ ألف كتاب.

وقد أصبح من الممكن نبوغ المثقفين من بين أتراك الأويغور بسبب ارتفاع معدل القراءة. وقد ألف ثمانية عشر كتاب أدبي باللهجة الأويغورية في سنة ١٩٧٠ فقط (EZHE, knigi odik, ١٩٧٠: ٣٩٨، ٥). وقد تُرجم إلى اللغة الروسية من ضمن هذه المؤلفات كتاب "yizada, taki yirak" «لموسى بييف»، وكتاب «الصراع من أجل إنهاء الحكم السوفيتي في «يدى صو» لحسنوف، ومايم خان، وسر السنين لضيا صمدى، والصراع من أجل الحرية لظنون طيبوق، وقد صدرت عليها تعليقات في نشرات الدول الغربية. وهناك الكثير من أتراك الأويغور الذين عُيِّنوا في إدارات الدولة والحكومة بجمهوريات آسيا الوسطى، لدرجة أن ي. يوسوبوف أصبح السكرتير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعى لجمهورية كازاخستان، كمبرا ١٩٦٧، ١٩٦٤. (ج. وكلىرى) السياسة والإدارة في كازاخستان، كمبرا ١٩٦٧، ص ٣٩٨).

وهناك جريدتان إحداها «لواء الشيوعية» التى تصدر بالحروف الكيرلية بلهجة أتراك الأويغور، و«الحياة الجديدة» التى تصدر بالحروف العربية. وتنشر هاتان الجريدتان فى آما- آتا، وخلاف ذلك، فهناك

نشریات باللهجة الأويغورية من مكانين مختلفين إذاعة آما - آتا، وإذاعة طشقند، ومثلما كانت المسارح الأويغورية في الاتحاد السوفيتي، فقد لحنّت أوبرا وباليه خاص. وقد شكلت فرق موسيقية وفولكلورية من مكانين مختلفين أوزبكستان وكازاخستان.

وقد افتتح قسم أويغوري إلى جانب الأكاديمية السياسية القازاقية في كازاخستان سنة ١٩٤٩. أما في سنة ١٩٦٣ فقد تم توسيعها، فأصبحت المعهد الأويغوري، ومهمة هذا المعهد هي القيام بأبحاث عن التاريخ والأدب والفولكلور واللغة الأويغورية، ويعمل فيه ما يقرب من عشرين رجل علم أويغوري.

وخلاف ذلك، فإنه لا يجب أن يُنسى أن كل هذه الجهودات لن تعكس الشخصية الحقيقية للثقافة التركية، بل على العكس من ذلك، ستعمل على إفساد الثقافة التركية الأويغورية من أجل انتشار الفكر الشيوعي.



بعد حادثة الإبادة الجماعية التي ارتكبتها سلطات الاحتلال الصيني في اورومتشي في ٥ يوليو ٢٠٠٩ ضد مسلمي الاويغور، توجهت اقطار العالم ومنه العالمين العربي والاسلامي من جديد الى تركستان الشرقية، حيث قام بعض الكتاب والباحثين العرب بنشر العديد من المقالات والبحوث التي تعرف بقضية تركستان الشرقية في بعض المجلات والصحف ومواقع الانترنت.

ونحن من جانبنا ومن اجل تأمين العالمين العربي والاسلامي بمعلومات ووثائق ذات مصداقية عن مسلمي تركستان الشرقية، قمنا بنشر هذه السلسلة من الدراسات وسميناها سلسلة دراسات تركستان الشرقية وتشمل هذه الدراسات على جميع الكتب والمقالات التي تخص تركستان الشرقية.

وقف تركستان الشرقية